وزارة التربية

السيرة النبوية

للصف الثامن - التعليم الديني

الطبعة الأولى

السيرة النبوية

للصف الثامن - التعليم الديني

تأليف

أ . عطية علي سعد عيسى (رئيساً)

د . ناصر دسوقي رمضان سليمان

أ . ياسر المعداوي عبد الله حماد

أ . منيرة خالد فهد البيدان

أ . فاطمة يوسف أحمد عبد الله

الطبعة الأولى

١٤٣٨ - ١٤٣٩ هـ

٢٠١٧ - ٢٠١٨ م

حقوق التأليف والطبع والنشر محفوظة لوزارة التربية - قطاع البحوث التربوية والمناهج

إدارة تطوير المناهج

الطبعة الأولى :٢٠١٧-٢٠١٨م

بسم الله الرحمن الرحيم

صاحب السمو الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح

أمير دولة الكويت

سمو الشيخ نواف الأحمد الجابر الصباح

ولي عهد دولة الكويت

المحتوى

الوحدة	الموضوع	الصفحة
	المقدمة	١١
الوحدة الأولى	صلح الحديبية	١٥
	تابع صلح الحديبية	٢٦
	غزوة خيبر	٣٦
	تابع غزوة خيبر	٤٨
	كتب الرسول ﷺ إلى الملوك والأمراء	٥٩
الوحدة الثانية	تابع كتب الرسول ﷺ إلى الملوك والأمراء	٦٩
	غزوة مؤتة	٧٨
	تابع غزوة مؤتة	٨٧

الوحدة	الموضوع	الصفحة
الوحدة الثالثة	فتح مكة	١١١
	تابع فتح مكة	١١٩
	غزوة حنين	١٢٨
	غزوة تبوك (العسرة)	١٣٦
	تابع غزوة تبوك	١٤٦
الوحدة الرابعة	عام الوفود (٩)هـ وأهم الأحداث فيه	١٥٩
	حجة الوداع	١٦٨
	مرض النبي ﷺ ووفاته	١٧٨
	المراجع	٢٠٨

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، والصلاة والسلام على رسول الله محمدٍ وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين .

أما بعد . . . .

فهذا منهج السيرة النبوية للصف الثامن من التعليم الديني نضعه بين يدي أبنائنا وبناتنا المتعلمين والمتعلمات سائلين الله تعالى أن ينفعهم جميعاً به .

وقد حرصت اللجنة على صياغة الكتاب بأسلوب سهل مبسط يتناسب مع مستوى المتعلم في هذه المرحلة العمرية المبكرة ، كما حرصت اللجنة على تجنب الإطالة في سرد الأحداث ، وقصدت إلى التركيز على النقاط الجوهرية في الموضوعات في غير إيجازٍ مخلٍ بمحتوى الدرس .

وقد استهلت اللجنة الكتاب بالحديث عن صلح الحديبية ذلك الفتح العظيم الذي كان بمثابة الانطلاق للدعوة الإسلامية في العالم أجمع ، ثم ما تلاه من فتح خيبر والقضاء على التواجد اليهودي سياسياً في جزيرة العرب ، ثم ما كان من مراسلة النبي ﷺ للملوك والأمراء يدعوهم إلى دين الله تعالى ، ثم أحداث غزوة مؤتة ، وغزوة ذات السلاسل ، وأحداث فتح مكة ، وغزوة حنين ، وغزوة تبوك ، وأهم أحداث عام الوفود سنة (٩ هـ) ، ثم ما تلاه من أحداث حجة الوداع ، وختمت اللجنة الكتاب بالحديث عن مرض النبي ﷺ ووفاته وأهم أعمال الصحابة بعد وفاته ﷺ .

وقد حرصت اللجنة على استخلاص دروسٍ مبسطة مستفادة من أحداث الدرس ؛ يقف عليها المتعلم من خلال سرد الأحداث ، مع إتباع الدرس بتقويم مبسط يقف المتعلم منه على طريقة السؤال المحتمل منه .

والله عز وجل من وراء القصد ، ونسأله سبحانه أن ينفع بهذا الجهد ، إنه سميع قريب .

المؤلفون

الوحدة الأولى

١- صلح الحديبية
٢- تابع صلح الحديبية
٣- غزوة خيبر
٤- تابع غزوة خيبر

الدرس الأول

صلح الحديبية

تمهيد :

بعد انقضاء الأيام العصيبة التي عاشها المسلمون في غزوة الخندق ، بشّر النبي ﷺ الصحابة قائلاً :

« الآنَ نَغْزوهُم ولا يَغْزونَنا ، نحنُ نَسيرُ إليهِم »[1] ، وبالفعل كانت هزيمة المشركين في الخندق إيذاناً بظهور فجر جديد للإسلام والمسلمين ، حيث تبدل الوضع العسكري بين المسلمين وأهل الشرك في الجزيرة العربية : من وضع الدفاع إلى وضع الهجوم ، وعلى الرغم من هذه التغيرات ، التي أشعرت المسلمين بعزتهم وكرامتهم ، وألقت الرعب في قلوب أعدائهم ، إلا أن قريشاً كانت لا تزال تحول بين المسلمين وبين دخول مكة لزيارة المسجد الحرام .[2]

تاريخ خروج النبي ﷺ للعمرة :

خرج النبي ﷺ من المدينة متوجهاً إلى مكة لأداء العمرة في يوم الإثنين الأول من ذي القعدة سنة ٦ هـ[3] .

أسباب الخروج لأداء العمرة : (رؤيا رسول الله ﷺ بدخول المسجد الحرام) :

بينما كان المسلمون مجتمعين في المسجد النبوي ذات صباح إذ طلع عليهم النبي ﷺ وأنبأهم برؤيا رآها في نومه ، خلاصتها : أنه دخل هو وأصحابه المسجد الحرام ، وأخذ مفتاح

---

(١) رواه البخاري بابُ غزوة الخندق : وهي الأحزابُ .
(٢) القول المبين في سيرة سيد المرسلين (ص : ٣١٠) .
(٣) السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث (ص : ٦٥٧) .

الكعبة ، وطافوا واعتمروا ، وحلق بعضهم وقصر بعضهم ، فأخبر بذلك أصحابه ففرحوا ، وحسبوا أنهم سيدخلون مكة عامهم هذا ، وأخبر أصحابه أنه معتمر فتجهزوا للسفر .[1]

أهداف النبي ﷺ من وراء التوجه إلى مكة لأداء العمرة :

قرر الرسول ﷺ أن ينطلق ليعتمر بأصحابه في مكة قاصداً تحقيق عدَّة أهداف من أهمها :

الأول : إشعار الناس جميعاً أن علاقة الإسلام بالآخرين لا تقوم على القتال ، وإنما تقوم على السِّلم .

الثاني : إيقاف الصراع مع قريش ، ليتفرغ المسلمون للجبهات الأخرى المعادية مثل يهود خيبر .

الثالث : إقرار حقيقة أن مكة ومقدّساتها ليست ملكاً للمشركين ، يسمحون لمن أرادوا ويمنعون من أرادوا من دخولها ، وإنما المسلمون بتوحيدهم الخالص لله تعالى أولى بالكعبة منهم .

الرابع : الاستجابة لغريزة حب الوطن الذي طردوا منه ، وازدادوا شوقاً لرؤيته .[2]

بداية التحرك إلى مكة لأداء العمرة :

استنفر النبي ﷺ من حوله من العرب ليخرجوا معه ، فخرج بعضهم ، وامتنع آخرون ؛ خوفاً من قريش ، وخرج النبي ﷺ راكباً ناقته القصواء ، ومعه زوجته أم سلمة رضي الله عنها ، وفي صحبته من المهاجرين والأنصار ومن لحق بهم من العرب ألف وأربعمئة ، واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم رضي الله عنه .[3]

---

(١) ينظر/ الرحيق المختوم مع زيادات (ص : ٢٧٣) وينظر/ القول المبين في سيرة سيد المرسلين (ص : ٣١٠) .
(٢) ينظر/ دراسة في السيرة – عماد خليل (ص : ١٨٥) بتصرف .
(٣) القول المبين في سيرة سيد المرسلين (٣١١) .

توجيهات النبي ﷺ للصحابة رضي الله عنهم :

تضمنت توجيهات النبي ﷺ للصحابة قبل الذهاب إلى العمرة عدة أمور من أهمها :

١ – استبدال ملابسهم بملابس الإحرام . ٢ – سوق الهدي صوب مكة .

٣ – ألا يخرجوا بسلاح إلا سلاح المسافر : السيوف في أغمادها .

والحكمة من وراء تلك التوجيهات : أن تعلم قريش وغيرها من العرب أن النبي ﷺ والمسلمين خرجوا زائرين للبيت الحرام ، معظمين له غير قاصدين لحرب أو قتال .

وانتشر خبر خروج رسول الله ﷺ بين قبائل العرب ، وكان انتشار الخبر له أثر في الرأي العام ، وخصوصاً بعدما أكد رسول الله ﷺ بأنه لا يريد حرباً ، وإنّما يريد أن يعتمر ويعظم شعائر الله تعالى .

لقد تجرد النبي ﷺ والصحابة من المخيط ، ولبسوا ملابس الإحرام ، وأحرم ﷺ بالعمرة من ذي الحليفة[١] بعد أن قلد الهدي وأشعره[٢] .

دور الطلائع الاستكشافية والأخذ بمبدأ الحذر :

كان النبي ﷺ على جانب كبير من الحذر تجاه أعدائه ، فأرسل بشر بن سفيان الخزاعي عيناً له يستكشف له الأخبار – وكان رجلاً مشركاً ولكن اطمأن له النبي ﷺ– كما دعا رسول الله ﷺ عباد بن بشر رضي الله عنه فأرسله أمامه طليعةً مع عشرين من الفرسان المسلمين ، وكان هدفه ﷺ من ذلك ؛ الاستعداد للطوارئ التي يمكن أن يُفاجَأ بها ، بالإضافة إلى استكشاف خبر العدو .[٣]

---

(١) (ذو الحليفة) قرية بينها وبين المدينة ستة أميال .

(٢) (قلد الهدي) علق في عنقها قطعة من حبل ليعلم أنها هدي ، فيكف الناس عنها .– وأشعره : إشعار البدن أن يشق أحد جنبي سنام البدنة حتى يسيل دمها . ينظر/ السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث (ص :٦٥٨)

(٣) السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث (ص :٦٥٨)

وصول الأخبار إلى النبي ﷺ بتحرك قريش لحربه ومنعه من دخول مكة :

لما وصل رسول اللهﷺ إلى عسفان[١] لقيه بشر بن سفيان الخزاعي وأخبره أن المشركين خرجوا مستعدين للحرب ، متعاهدين على ألا تدخلها عليهم عنوة . فقال رسول الله ﷺ : يا ويح[٢] قريش ! لقد أكلتهم الحرب ، ماذا عليهم لو خلوا بيني وبين سائر العرب ، فإن هم أصابوني كان الذي أرادوا ، وإن أظهرني الله عليهم دخلوا في الإسلام وافرين[٣] ، وإن لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة ، فما تظن قريش ، فو الله لا أزال أجاهد على الذي بعثني الله به حتى يظهره الله أو تنفرد هذه السالفة[٤] .[٥]

استشارة النبي ﷺ أصحابه رضي الله عنهم وتجنب المواجهة والقتال :

استشار النبي ﷺ أصحابه رضي الله عنهم لما بلغه خبر استعداد قريش بمساندة الأحابيش[٦] ؛ لصده عن دخول البيت الحرام ، ودارت المشورة حول الأخذ بأحد أمرين :

١ - الهجوم على ذراري الأحابيش الذين خرجوا لمعاونة قريش لقتال المسلمين وصدهم عن البيت .

٢ - قصد البيت الحرام ، فمن صدهم عنه قاتلوه .

ولما عرض النبي ﷺ المشورة في هذا الأمر على الصحابة رضي الله عنهم ، تقدم أبو بكر الصديق رضي الله عنه برأيه فأشار على رسول الله ﷺ بترك قتالهم ، والاستمرار على ما خرج من أجله وهو أداء العمرة ، وقال : يا رسول الله ، خرجت عامداً لهذا البيت لا تريد قتل أحد ولا حرب أحد ، فتوجه له ، فمن صدّنا عنه قاتلناه . فاستحسن النبي ﷺ هذا الرأي ،

---

(١) عسفان : قرية على مرحلتين من مكة أي مسيرة يومين .
(٢) ياويح : كلمة ترحم وتوجع .
(٣) وافرون : جمع وافر وهو الذي لم ينقص منه شيء .
(٤) السالفة : صفحة العنق ، وانفرادها عبارة عن القتل او الذبح .
(٥) البخاري ، كتاب الشروط ، باب الشروط في الجهاد (٣/ ٢٣٧) رقم (٢٧٣٢) - وينظر/ الروض الأنف ت الوكيل (٦/ ٤٥٣) .
(٦) الأحابيش : قبائل كانوا تحالفوا مع قريش تحت جبل يقال له : الحبش ، أسفل مكة ، وقيل : سموا بذلك لتحبشهم أي تجمعهم .

وقال : « امضوا على اسم الله»[1] .

الرسول ﷺ يغيّر الطريق تجنباً لإراقة الدماء وينزل بالحديبية :

تأكد رسول الله ﷺ أن قريشًا قد خرجت تعترض طريقه ، وتنصب له كمينًا بقيادة خالد بن الوليد – وكان لا يزال مشركاً – فرأى رسول الله ﷺ أن يغيّر طريق الجيش الإسلامي تفاديًا للصدام مع المشركين ، فقال : « من رجل يخرج بنا على طريق غير طريقهم التي هم بها ؟ » ، فقال رجل : أنا يا رسول الله ، فسلك بهم طريقا وعراً بين شعابٍ ، شقَ على المسلمين السير فيه ، حتى خرجوا إلى أرض سهلة عند منقطع الوادي ، ثم سلكوا طريقاً أخرجهم عند الحديبية من أسفل مكة .

خط سير النبي ﷺ من المدينة إلى الحديبية

سلك الجيش الإسلامي ذلك الطريق بخفة ودون أن يشعر به أحد ، فما نظر خالد بن الوليد إلا ورأى آثار غبار الجيش خلفه ، فعاد مسرعًا هو ومن معه إلى مكة[2] .

وعندما اقترب الرسول ﷺ من الحديبية ، بركت ناقته القصواء ، فقال الصحابة

---

(١) ينظر/ شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية (٣/ ١٧٥) ينظر / السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث (ص : ٦٥٩) بتصرف .

(٢) ينظر/ السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث (ص : ٦٥٩) وينظر/ فقه السيرة للغزالي (ص :٣٢٧) .

ﷺ : خلأت القصواء[1] فقال النبي ﷺ : « ما خلأت القصواء ، وما ذاك لها بخلق[2] ، ولكن حبسها حابس الفيل »[3] . ثم قال : « والذي نفسي بيده لا يسألونني خطة يعظمون فيها حرمات الله إلا أعطيتهم إياها »[4]

ولا شك أن هذه الكلمة من الرسول ﷺ تشير إلى معنى كريم فطن إليه المسلمون ، واطمأنت إليه نفوس الكثير منهم ، وهو أن الله تعالى لا يريد للمسلمين أن يؤدوا نسك العمرة في هذه المرة ، لذلك حبس الناقة عن المضي إلى الكعبة .[5] ثم زجر النبي ﷺ الناقة فوثبت ثم عدل عن دخول مكة ، وسار حتى نزل بأقصى الحديبية عند بئر قليل الماء ، ما لبثوا أن نزحوه ، ثم اشتكوا إلى رسول الله ﷺ العطش ، فانتزع سهماً من كنانته ثم أمرهم أن يجعلوه فيه ، ففاض البئر بالماء فشربوا وارتووا عن آخرهم ، حتى صدروا عنه .[6] وهذه معجزة من معجزات النبي ﷺ .

السفارة بين النبي ﷺ وقريش تفادياً للقتال :

بذل رسول الله ﷺ ما في وسعه لإفهام قريش أنه لا يريد حربًا معهم ، وإنما يريد زيارة البيت الحرام .

وعندما تأكدت قريش من ذلك أرسلت إلى النبي ﷺ العديد من السفراء ؛ يتفاوضون معه ، واستهدفت من وراء هؤلاء السفراء أموراً من أهمها :

١- تعرف قوة المسلمين .

٢- الوقوف على مدى عزم المسلمين على القتال إذا اضطروا إليه .

---

(١) القصواء : اسم الناقة ، وخلأت : أي حزنت فلم تعد تأتمر بأمر صاحبها .
(٢) أي ليس من عادتها وطبعها .
(٣) أي حبسها ومنعها من الحركة الذي حبس الفيل الذي جاء به أبرهة لهدم الكعبة ، وهو الله تعالى ، يريد أن يمنعها من ذلك لأمر مهم أراده .
(٤) رواه البخاري- باب الشروط في الجهاد ، والمصالحة مع أهل الحروب وكتابة الشروط/ مختصر صحيح البخاري (رقم ١٢١٩) .
(٥) القول المبين في سيرة سيد المرسلين (ص : ٣١٣) .
(٦) السيرة النبوية لابن كثير (٣/ ٣٣٠) .

٣ - العمل على صد المسلمين عن البيت الحرام بالطرق السلمية .

وكانت قريش هي البادئة بإرسال مبعوثيها ، وكان من أبرز هؤلاء المبعوثين : بدَيل بن ورقاء ، عروة بن مسعود الثقفي ، الحُليس بن علقمة الكناني سيد الأحابيش ، وسهيل بن عمرو الذي تم الصلح على يديه .

وقد أكد النبي ﷺ لهؤلاء السفراء أنه لا يريد قتالاً ، وإنما جاء معتمراً معظماً البيت الحرام ، ثم ينصرف راجعًا إلى المدينة ، كما عرض عليهم النبي ﷺ طلب هدنة بينه وبين قريش .

وبالرغم من كل المؤكدات على حرص النبي ﷺ على عدم القتال إلا أن بعض المشركين قام بمحاولة غدر حيث تجمع منهم ما يقرب من السبعين أو الثمانين رجلاً وحاولوا الهجوم على معسكر المسلمين ، فاستطاع رجال الحراسة بقيادة محمد بن مسلمة رضي الله عنه الإمساك بهم جميعاً ، وهرب رئيسهم مكرز بن حفص ، وأتى بهم إلى رسول الله ﷺ فعفا عنهم تشبثاً منه ﷺ بخطة السلم ، واحتراماً للشهر الحرام أن يُسفك فيه دم ، ونظر إليهم رسول الله ﷺ وقال : « دعوهم يكن لهم بدء الفجور » وعفا عنهم ، وقد بُهتت قريش حين عرفوا ذلك ، وسقطت كل حجة لهم في أن النبي ﷺ يريد حرباً ، وأيقنوا أن أي اعتداء من جانبهم على المسلمين لن تنظر إليه العرب إلا على أنه غدر لئيم للمسلمين الحق كل الحق في أن يدفعوه[١] قال تعالى : ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾﴾[٢]

(١) ينظر/ الرحيق المختوم (ص :٢٧٧) وينظر/ السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة محمد أبو شهبة (٢/ ٣٣٢) بتصرف .
(٢) سورة الفتح : ٢٤

سفراء النبي ﷺ إلى قريش :

كذلك أرسل النبي ﷺ إلى قريش سفراء لتوضيح غايته من المجيء ، وكان من بينهم :

١ – خراش بن أمية رضي الله عنه ، وكانت مهمته : تبليغ قريش حرص النبي ﷺ على مبدأ السِلم وعدم الرغبة في القتال ، واحترام المقدسات ، و أداء مناسك العمرة ، والعودة إلى المدينة . وكان رد فعل قريش : أنهم عقروا جمل خراش رضي الله عنه وأرادوا قتله ، فمنعهم الأحابيش .

٢ – عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وقد كلّفه النبي ﷺ بتوصيل رسالتين :

الأولى : إخبار قريش بعدم رغبة النبي ﷺ في القتال .

الثانية : تبليغ المستضعفين من المسلمين في مكة أن الحق آتٍ لا ريب فيه وأن نصر الله قريب .

وكان رد المشركين على عثمان رضي الله عنه : قد سمعنا ما تقول ولن يكون هذا أبدًا ، ولن يدخلها علينا عنوة ، فارجع إلى صاحبك فأخبره ، وسمحوا لعثمان رضي الله عنه أن يطوف بالبيت ، فرفض في حزم وإباء وقال : لا أطوف ورسول الله ﷺ ممنوع . وبلّغ رسالة النبي ﷺ إلى المستضعفين من المسلمين في مكة بقرب النصر والفرج . ولما علم المشركون بتواصله مع المستضعفين من المؤمنين بمكة ، وتشجيعه لهم بناءً على رسالة النبي ﷺ لهم بقرب النصر ، قاموا بحبس عثمان رضي الله عنه ، ولكن الأخبار وصلت لرسول الله ﷺ بمقتل عثمان رضي الله عنه ، وهنا غضب رسول الله ﷺ والمسلمون ، وقال رسول الله ﷺ لما بلغته تلك الإشاعة : « لا نبرح حتى نناجز القوم »[١] ، ثم دعا النبي ﷺ أصحابه إلى البيعة .

---

(١) منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري– حمزة محمد قاسم (٤/ ٣٥٨) راجعه : الشيخ : عبدالقادر الأرناؤوط/ الناشر : مكتبة دار البيان ، دمشق – مكتبة المؤيد ، الطائف – المملكة العربية السعودية عام النشر : ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م .

ما يستفاد من الدرس :

١ – عزم النبي ﷺ على التوجه لأداء العمرة بعد الرؤيا التي رآها .

٢ – فرح الصحابة رضي الله عنهم برؤيا رسول الله ﷺ واستعدادهم للعمرة .

٣ – إصرار قريش على منع النبي ﷺ والمسلمين من دخول مكة .

٤ – حرص النبي ﷺ والمسلمين على تجنب الحرب وإراقة الدماء .

٥ – إجماع السفراء بين النبي ﷺ وقريش على أن النبي ﷺ لم يحضر لقتال .

٦ – حرص النبي ﷺ على تطبيق مبدأ العفو مع خصومه ومن أرادوا الغدر به .

التقويم

س١ : اختر المكمل الصحيح مما بين القوسين بوضع خط تحته فيما يأتي :

١ـ وقع صلح الحديبية في عام : (١٠ هـ – ٨ هـ – ٦ هـ) .

٢ـ ركب النبي ﷺ عند ذهابه لأداء العمرة : (فرسه – ناقته القصواء – البراق) .

٣ـ خرج النبي ﷺ لأداء العمرة ومعه زوجته السيدة : (عائشة – ميمونة – أم سلمة) .

٤ـ استخلف النبي ﷺ على المدينة عند أداء العمرة :

(ابن أم مكتوم – ابن عباس – ابن مسعود) .

س٢ : تمم العبارات الآتية بما يناسبها مما بين القوسين فيما يأتي :

(عثمان بن عفان – عروة بن مسعود – خالد بن الوليد – عباد بن بشر – أبو بكر الصديق)

١ـ رفض ..... أن يعتمر وليس معه النبي ﷺ .

٢ـ قام ..... بمهمة استطلاعية ومعه عشرون فارساً .

٣ـ نصبت قريش كميناً لمواجهة المسلمين بقيادة .....

٤ـ كان ..... من أبرز سفراء قريش إلى النبي ﷺ .

س٣ : علل ما يأتي :

١ـ أمر النبي ﷺ الصحابة رضي الله عنهم بسوق الهدي وعدم حمل السلاح عند ذهابه لأداء العمرة :

.....

.....

٢ـ تغيير النبي ﷺ طريقه عند الدخول إلى مكة لأداء العمرة :

. . . . . .

. . . . . .

س٤ : من الشخصية المقصودة فيما يأتي :

١ـ أرسله النبي ﷺ إلى قريش فعقروا جمله وأرادوا قتله (. . . . .)

س٥ : انسب العبارات الآتية إلى قائليها :

١ـ «الآن نغزوهم ولا يغزوننا ، نحن نسير إليهم» القائل (. . . . .)

٢ـ «لا أطوف ورسول الله ﷺ ممنوع » القائل (. . . . .)

س٦ : اكتب اثنين من أهداف توجه النبي ﷺ إلى مكة لأداء العمرة .

١ـ . . . . . .

. . . . . .

٢ـ . . . . . .

. . . . . .

الدرس الثاني

تابع صلح الحديبية

تمهيد : حول بيعة الرضوان :

دعا رسول الله ﷺ أصحابه إلى البيعة على القتال بعد إشاعة مقتل عثمان رضي الله عنه ، فأقبلوا إليه مسرعين يبايعونه على أن لا يفروا ، وبايعه جماعة على الموت ، منهم سلمةُ بن الأكوع رضي الله عنه الذي بايع على الموت ثلاث مرات ، في أول الناس ووسطهم وآخرهم ، ولقد حرص النبي ﷺ على أخذ البيعة ؛ لأنه ﷺ يريد مقاتلاً مختاراً ، محتسباً النية لله تعالى .[1]

وكانت البيعة تحت شجرة من أشجار السمر ، ولما تمت البيعة للحاضرين ضرب رسول الله ﷺ بإحدى يديه على الأخرى وقال : « وهذه لعثمان »فكانت يد رسول الله ﷺ لعثمان رضي الله عنه خيراً من يد عثمان لنفسه »[2] .

وسميت هذه البيعة ببيعة الرضوان ؛ لأن الله تعالى رضي عن الصحابة الذين بايعوا النبي ﷺ تحت الشجرة ، قال تعالى : ﴿ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ ﴾[3]

ولم يطل احتباسُ قريش لعثمان بن عفان رضي الله عنه ، فقد خافت أن تصيبه بأذى ، فأرسلته رضي الله عنه ، ولما رجع بايع عن نفسه تحت الشجرة مرة ثانية ، بالإضافة إلى بيعة النبي ﷺ له ، ولم يتخلف عن هذه البيعة إلا رجل من المنافقين يقال له « جد بن قيس »[4] .

---

(١) خاتم النبيين ﷺ (٢/ ٧٤٨) .
(٢) السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة (٢/ ٣٣١) .
(٣) سورة الفتح : ١٨
(٤) الرحيق المختوم مع زيادات (ص : ٢٧٨)

قريش تسعى للصلح مع النبي ﷺ والمسلمين :

بعد كل ما حدث كان لابد لقريش ، أن تفكر جدياً في الصلح ، وأن تنهي هذه الحالة التي قد تدور بسببها الدائرة عليهم ، فأرسلوا «سهيل بن عمرو» إلى النبي ﷺ وقالوا له : ائت محمداً وصالحه ، ولا يكن في صلحه إلا أن يرجع عنا عامه هذا ، فوالله لا تتحدث العرب أنه دخلها علينا عنوة أبداً ، فلما انتهى « سهيل بن عمرو » إلى رسول الله ﷺ ورآه تفاءل به وقال : « لقد سُهِّل لكم من أمركم » .[1] واستقبل رسول الله ﷺ مفاوض قريش (سهيل بن عمرو) بكل رفق ولين ، وإن كان قادراً على تحكيم السّيف ، وإنزال خصومه على ما يريد ، وعرض سهيل الشروط التي يتمّ في نطاقها الصلح ، ووافق عليها النبيّ ﷺ ، ولم يبق إلا أن تسجّل شروط الصلح في وثيقة يوقع عليها الفريقان .

شروط صلح الحديبية :

تمثلت شروط الصلح التي تم الاتفاق عليها فيما يلي :

١- توقف الحرب بين المسلمين وقريش عشر سنين ، يأمن فيهن الناس ويكف بعضهم عن بعض .

٢- من أتى محمداً ﷺ من قريش بغير إذن وليه ردّه عليهم ، ومن جاء قريشاً ممن مع محمد ﷺ لم يردّوه .

٣- من أحب أن يدخل في عقد محمد ﷺ دخل فيه ، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدها دخل .

٤- أن يرجع النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم من غير عمرة هذا العام ، فإذا كان العام القابل

---

(١) السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة (٢/ ٣٣٣)

خرج المشركون من مكة ، فيدخلها المسلمون ويقيمون بها ثلاثاً ليس معهم من السلاح إلا السيوف في أغمادها .[1]

موقف الصحابة ﷺ من شروط الصلح :

وقع في معسكر المسلمين دهشة من الطريقة التي سلكها رسول الله ﷺ في إبرام هذا الصلح :

* أما من ناحية أعدائه فقد لاينهم ووافق على كل شروطهم .

* وأما مع أصحابه – فإنّه على غير ما ألفوا منه – لم يستشرهم في هذا الاتفاق المقترح ، فهو دائماً يستشيرهم في شؤون الحرب والسلم ، وربما ترك رأيه ونزل على رأيهم – كما حدث في غزوة أحد – لكنّه اليوم ينفرد بالرأي ، ويقرّ ما كرهه أغلب الصحابة ﷺ .[2]

وقد حدث ذلك لِحِكَم عظيمة لم يقف عليها كثير من الصحابة في ذلك الوقت ، ومن ثم وقع من بعضهم اعتراض شديد لهذا الصلح ، وخاصةً في البندين اللذين يلتزم النبي ﷺ بموجبهما برد من جاءه مسلماً من مكة ، ولا تلتزم قريش برد من جاءها من المسلمين مرتداً ، والبند الذي يقضي بأن يعود المسلمون من الحديبية إلى المدينة دون أن يدخلوا مكة ذلك العام ، وقد كان أشدُّ الناس معارضةً لهذه الاتفاقية وانتقادًا لها : عمرُ بن الخطاب ، وأسيد بن حضير سيد الأوس ، وسعد بن عبادة سيد الخزرج ﷺ .[3] وقالوا : سبحان الله !! كيف نرد إليهم من جاء مسلماً ، ولا يردّون إلينا من جاء مرتداً ؟ فأجابهم النبي ﷺ : « إنه من ذهب منا إليهم فأبعده الله ، ومن جاءنا منهم فرددناه إليهم فسيجعل الله له فرجاً ومخرجاً » .[4]

---

(١) السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة (٢/ ٣٣٣)
(٢) فقه السيرة للغزالي (ص :٣٣٤)
(٣) السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث (ص : ٦٧٩)
(٤) السيرة النبوية على ضوء القرآن الكريم والسنة (٢/ ٢٧٧)

أمور زادت الأمر مشقةً على المسلمين :

كان مما أثار غضب الصحابة ﷺ أيضاً ما حدث من سهيل بن عمرو أثناء كتابة شروط الصلح ، حيث دعا الرسول ﷺ علي بن أبي طالب ﷺ وقال له : « اكتب بسم الله الرحمن الرحيم ، فقال سهيل : أمسك ! لا أعرف الرحمن الرحيم ، بل اكتب باسمك اللهم .

قال الرسول ﷺ : اكتب باسمك اللهم ، ثم قال : اكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو . قال سهيل : أمسك ! لو شهدت أنك رسول الله لم أقاتلك ، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك ، قال الرسول ﷺ : اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو .[1]

وقبل أن يتم إملاء الشروط وصل إلى معسكر المسلمين أبو جندل بن سهيل بن عمرو- الذي يتفاوض مع النبي ﷺ وهو يرسف بالحديد[2] ، وجاء معلناً إسلامه ، فانقض عليه أبوه يضرب وجهه ، ويأخذ بتلابيبه قائلاً للرسول ﷺ : إن شروط الصلح قد أبرمت قبل وصول أبي جندل ، فأجابه الرسول ﷺ : صدقت ، وراح أبو جندل ﷺ يصرخ بأعلى صوته : يا معشر المسلمين أأُردُّ إلى المشركين يفتنوني في ديني ؟ وهنا وثب عمر بن الخطاب ﷺ مع أبي جندل ﷺ يمشي إلى جانبه ، ويقول : اصبر يا أبا جندل ، فإنما هم المشركون ، وإنما دم أحدهم دم كلب ، ويدني قائم السيف منه ، يقول عمر ﷺ : رجوت أن يأخذ السيف ، فيضرب به أباه ، فضن الرجل بأبيه .[3] فما كان جواب الرسول ﷺ إلا أن قال : يا أبا جندل اصبر واحتسب ، فإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً ، إنا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحاً ، وأعطيناهم على ذلك وأعطونا عهد الله ،

---

(١) الرسول القائد (ص :٢٧٧)
(٢) يرسف : أي يمشي مشي المقيّد
(٣) فضن الرجل بأبيه : أي بخل به ولم يرد أن يقتله

وإنا لا نغدر بهم . .[1]

ومثل ما حدث مع أبي جندل ، حدث مع أبي بصير عبيد بن أسيد ﷺ حيث أسلم وفرّ من المشركين ، وهاجر إلى المدينة يبغي المقام فيها مع المسلمين ، فأرسلت قريش وراءه اثنين من رجالها يرجعان به إليها تنفيذاً لنصوص المعاهدة ، فقال رسول الله ﷺ : « يا أبا بصير ! إنّا قد أعطينا هؤلاء القوم ما قد علمت ، ولا يصلح لنا في ديننا الغدر ! وإنّ الله جاعل لك ومن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً ، فانطلق إلى قومك » . وحزن أبو بصير ﷺ ، وقال : يا رسول الله ! أتردني إلى المشركين ليفتنونني في ديني ؟ فلم يزد النبي ﷺ عن تكرار رجائه في الفرج القريب ، ثم أرسل أبا بصير ﷺ مع الرجلين ، ليعودا به إلى مكة .

تراجع قريش عن بعض الشروط التي فرضتها تعنتاً على النبي ﷺ :

رفض أبو بصير ﷺ أن يستسلم لهذا المصير ، فاحتال أثناء الطريق على سيف أحد الرجلين وأخذه فقتل به أحدهما وفرَّ الثاني ، ورجع أبو بَصير ﷺ إلى النبي ﷺ وقال : يا رسول الله قد والله أوفى الله ذمتك ، قد رددتني إليهم ثم نجاني الله منهم ، فقال النبي ﷺ : «ويل أُمِّه مسعر حرب[2] لو كان معه رجال »[3] فلما سمع ذلك عرف أنه سيرده إليهم فخرج حتى أتى « سيف البحر» .

وكذلك استطاع أبو جندل بن سهيل بن عمرو ﷺ أن يفلت من المشركين ، في سبعين راكباً أسلموا وهاجروا فلحقوا بأبي بصير ﷺ ، وانضم إليهم رجال آخرون أسلموا حتى بلغوا ثلاثمئة مقاتل .[4]

وراحوا يهددون مصالح قريش وتجارتها إلى الشَّام : يقتلون رجال القوافل ويستولون

---

(١) الروض الآنف (٦/ ٤٦٣)
(٢) ويل أمه : كلمة ذم والمراد بها هنا المدح . مسعر حرب : مثيرها ومحركها ، ومسعر بالنصب على التمييز وهو وصف له بالإقدام .
(٣) الرسول القائد (ص :٢٨٥)
(٤) دلائل النبوة للبيهقي محققاً (٤/ ١٧٣)

على أموالها ، فأرسلت قريش إلى النبي ﷺ ، تناشده الله والرحم أن يؤوي إليه هؤلاء فلا حاجةَ لها بهم ، وبذلك تراجعت قريش عن الشرط الذي أملته تعنتاً وقبله المسلمون كارهين .[1]

تباطؤ الصحابة رضي الله عنهم في الاستجابة لأمر النبي ﷺ ومشورة السيدة أم سلمة رضي الله عنها :

لما فرغ الرسول ﷺ من كتابة شروط الصلح مع سهيل بن عمرو ، أمر الصحابة بنحر الهدي وحلق رؤوسهم إيذاناً بالعودة للمدينة ، فلم يستجيبوا له لأول مرة في حياتهم ، قال لهم : « قوموا فانحروا ثمّ احلقوا» – ليتحللوا من عمرتهم ويعودوا إلى المدينة– فلم يقم منهم رجل ! حتى قال ذلك ثلاث مرات ! فلمّا لم يقم منهم أحد دخل على أم سلمة رضي الله عنها ، فذكر لها ما لقي من النّاس ، فقالت أم سلمة رضي الله عنها : يا رسول الله ! أتحبّ ذلك؟ اخرج ، ثم لا تكلم أحداً منهم كلمة حتى تنحر بُدْنَك ، وتدعو حالقك فيحلقك ، فخرج فلم يكلم أحداً منهم حتى فعل ذلك نحر بُدْنَهُ ودعا حالقه فحلقه ، فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضاً ، حتى كاد بعضهم يقتل بعضاً غمّاً .[2]

المسلمون يأبون تسليم النسوة اللاتي أسلمن :

أما بالنسبة للنساء فلم يدخلن في عقد الصلح بادئ الأمر ، وإنما كان الكلام على الرجال ، وبالإضافة إلى ذلك فقد تنزلت آيات القرآن تنهى المسلمين عن تسليمهن إلى المشركين بعد إسلامهن وهجرتهن إلى المدينة ، ومما حدث في هذا الشأن أن أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط رضي الله عنها ، كانت ممن خرج إلى رسول الله ﷺ يومئذ ، فجاء أهلها يسألون رسول الله ﷺ أن يرجعها إليهم ، فلم يرجعها إليهم لقول الله تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ ۖ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ

(١) فقه السيرة للغزالي (ص : ٣٣٨)
(٢) رواه البخاري/ باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط (رقم : ٢٧٣١)

فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ ۖ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ۖ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُوا۟ ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ﴾[1]

وتنفيذاً لهذا الأمر الإلهي كانت المرأة المهاجرة تُسْتَحْلَفُ : أنها ما خرجت رغبةً بأرض عن أرض ، ولا بغضاً في زوج ، ولا لالتماس دنيا ، وأنها ما خرجت إلا حبّاً في الله ورسوله ، ومتى حلفت لا ترد ، بل يُعطى لزوجها المشرك ما أنفقه عليها ، ويجوز للمسلم أن يتزوجها .[2]

وكان ذلك من رحمة الله بالمهاجرات المسلمات ؛ إذ النساء لا يستطعن ضرباً في الأرض ، ولا ردّاً للكيد كما فعل الرجال أمثال أبي جندل وأبي بصير رضي الله عنهما .

من فوائد الصلح التي كانت غائبة عن الصحابة رضي الله عنهم :

إن الصحابة رضي الله عنهم الذين كرهوا مرونة النبي ﷺ وتنازله عن بعض الأمور ، التي رأوها ظالمةً بالنسبة للمسلمين ، تبين أمامهم بعد ذلك أنه كان أكبر فتح في تاريخ الدعوة الإسلامية منذ انبعاثها ، قبل تسع عشرة سنة ، واتضح أمامهم فوائد عظيمة كانت غائبة عنهم عند إبرام الصلح ، رأوها بعد ذلك من خلال نتائجه التي ترتبت عليه والتي كان من أهمها :

١ – فتح هذا الصلح آفاقاً جديدةً أمام الدعوة ؛ حيث تحرَّك المسلمون بحرية تامة لإقناع الناس بالإسلام .

٢ – كان دخول قريش في عهد مع المسلمين يمثل اعترافاً منها بالدولة الإسلامية والدين الجديد .

٣ – أتاح الصلح لبعض القبائل أن تسارع بالانضمام إلى معسكر المسلمين مثل قبيلة خزاعة ، وكان هذا تفتيتاً للقوى التي كانت تعتمد عليها قريش في مواجهة

(١) سورة الممتحنة : ١٠

(٢) القول المبين في سيرة سيد المرسلين (ص :٣١٩) وينظر/ السيرة الحلبية – إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون (٣/ ٣٨)

المسلمين .

٤ – تفرغ المسلمون للجبهات الأخرى المعادية التي بدأت تتحرك ضدهم مثل جبهة اليهود في خيبر .

ولعظمة هذا الصلح وكثرة فوائده أطلق عليه القرآن الكريم اسم (الفتح) ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّۖ فَإِنۡ عَلِمۡتُمُوهُنَّ مُؤۡمِنَٰتٖ فَلَا تَرۡجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلۡكُفَّارِۖ لَا هُنَّ حِلّٞ لَّهُمۡ وَلَا هُمۡ يَحِلُّونَ لَهُنَّۖ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُواْۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ﴾[1] .

ما يستفاد من الدرس :

١ – بيان فضل عثمان بن عفان رضي الله عنه وعلو منزلته عند النبي ﷺ والمسلمين .

٢ – سرعة استجابة الصحابة رضي الله عنهم لبيعة النبي ﷺ والثبات معه في الجهاد حتى الموت .

٣ – ظهور حكمة النبي ﷺ في قبول شروط صلح الحديبية بالرغم من جورها على المسلمين .

٤ – انتشار الدعوة الإسلامية وتوسعها في آفاق جديدة لدرجة أن القرآن سمى هذا الصلح فتحاً .

٥ – ظهور فوائد الصلح أمام الصحابة رضي الله عنهم جعل المعترضين يبادرون بالتوبة والاستغفار .

٦ – تراجع قريش عن بعض الشروط التي فرضتها على النبي ﷺ تعسفاً ، بسبب تهديد مصالحها .

٧– بيان فضل السيدة أم سلمة رضي الله عنها ورجاحة عقلها في مشورتها على النبي ﷺ .

---

(١) سورة الفتح : ٢٧

التقويم

س١ : ضع علامة (√) مقابل العبارة الصحيحة وعلامة (X) مقابل العبارة غير الصحيحة فيما يأتي :

١-من شروط صلح الحديبية توقف الحرب بين النبي ﷺ والمشركين خمس سنين . ( )

٢- تولى سهيل بن عمرو التفاوض مع النبي ﷺ بالنيابة عن قريش . ( )

٣- بادر الصحابة رضي الله عنهم المعترضون على الصلح بالتوبة بعد ظهور فوائده . ( )

٤- أخذ النبي ﷺ برأي السيدة صفية بنت حيي عند الرجوع من الحديبية . ( )

س٢ : علل ما يأتي :

١- سمِّيت بيعة الرضوان بهذا الاسم :

. . . . . .

. . . . . .

. . . . . .

٢- حرص النبي ﷺ على أخذ البيعة من الصحابة رضي الله عنهم بعد إشاعة مقتل عثمان رضي الله عنه :

. . . . . .

. . . . . .

. . . . . .

س٣ : ضع الرقم المناسب من المجموعة (أ) أمام ما يناسبه من المجموعة (ب) في الجدول الآتي :

الرقم	المجموعة (أ)	الرقم	المجموعة (ب)
١	الذي تخلف عن بيعة الرضوان		الفتح
٢	لم تدخل النساء ضمن شروط الصلح		خوفاً وتراجعاً
٣	أطلق القرآن الكريم على صلح الحديبية		في إرجاعهن إلى الكفار
٤	أظهر الصحابة رضي الله عنهم عند البيعة		جد بن قيس
			عزماً وثباتاً وتضحية

س٤ : من الشخصية المقصودة فيما يأتي :

١- فرَّ بدينه إلى النبي ﷺ بعد صلح الحديبية فردَّه مع رجلين من قريش .

(.....)

٢- أفلت من المشركين مع سبعين رجلاً وهدَّدوا مصالح قريش .

(.....)

س٥ : أجب عما يأتي :

١- سجل بقلمك فائدة من فوائد صلح الحديبية :

.....

.....

٢- استنبط قيمة من موقف أبي جندل وأبي بصير رضي الله عنهم بعد صلح الحديبية :

.....

.....

الدرس الثالث

غزوة خيبر

تمهيد

كانت القوى الكبرى المعادية للإسلام في الجزيرة العربية تتمثل في ثلاث قوىً ضخمة : أولها وأقواها قريش ، وثانيها غطفان ، وثالثها التجمع اليهودي في خيبر ، وقد استطاع النبي ﷺ بتوفيق الله تعالى أن يُخرج قريشاً من حلبة الصراع مع المسلمين ، وذلك من خلال بنود صلح الحديبية ، والتي كان من أهمها : (توقف الحرب بين المسلمين وقريش عشر سنين) ، ولما تمكن النبي ﷺ من إبعاد قريش بهذا الشرط ، ضعفت نزعات غطفان العدائية ؛ لأنها وجدت قريشاً زعيمة الوثنية وحامية حماها قد نفضت يدها من المعركة ، وأكثر ما حدث من غطفان بعد هذه الهدنة من أعمال عدائية ضد الإسلام ، إنما كان بسبب إغراء اليهود لهم وتشجيعهم على ذلك .

ومن ثم كان من الحكمة أن يتجه النبي ﷺ للقضاء على العدو الخطير الثالث ، الذي طالما ألَّب القبائل ودبَّر المؤامرات ضد الإسلام والمسلمين ، وأصبح بمثابة الوكر الذي يأوي إليه كل من في قلبه مرض تجاه الإسلام ، ألا وهو : التجمع اليهودي في خيبر .[1]

تاريخ غزوة خيبر :

خرج النّبي ﷺ لفتح خيبر ، في أواخر المحرم للسنة السابعة من الهجرة .[2]

---

(١) خيبر باللغة اليهودية : الحصن أو القلعة ، وهي مدينة كبيرة على بعد ستة وتسعين ميلاً من المدينة في الشمال الشرقي ، وهي ذات حصون ومزارع ونخيل .

(٢) فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة (ص :٢٤٣)

أسباب غزوة خيبر :

من أسباب غزوة خيبر قيام « يهود خيبر » بما يأتي :

١ – مساعدة بني النضير في جمع القبائل العربية لحرب المسلمين في غزوة الأحزاب .

٢ – بذل الأموال والثمار والسلاح لقبائل غطفان ؛ تحريضاً لهم على غزو المدينة وقتال المسلمين .

٣ – إقناع بني قريظة بخيانة العهد مع النبي ﷺ في غزوة الخندق .

٤ – التجسس على المسلمين بمساعدة المنافقين ، وتدبير المؤامرات لاغتيال النبي ﷺ .[١]

لهذه الأسباب كان من الحكمة أن يبدأ النبي ﷺ بالتوجه إلى يهود خيبر ليخلص المسلمين من كيدهم .

تحرك الجيش الإسلامي إلى خيبر :

تحرك رسول الله ﷺ بجيشه ومعه ألف وأربعمئة مقاتل ، فيهم مئتا فارس[٢] ، وخرجت معهم عشرون امرأة من نساء الصحابة ؛ لمداواة المرضى وخدمة الجرحى ، والإسعاف بالماء والطعام أثناء القتال ، واستنفر النبي ﷺ من حوله ممّن شهد الحديبية يغزون معه ، وكان المنافقون وضعفاء الإيمان يدركون ما في خيبر من الغنائم ، فأرادوا أن يخرجوا مع النبي ﷺ بقصد تحصيلها ، وخاصةً أن الله تعالى قد وعد رسوله ﷺ بالحديبية بمغانم خيبر في قوله تعالى :﴿ وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً ﴾[٣] ولكن الله تعالى أمر نبيه ﷺ ألا يقبل المنافقين في خروجه هذا ، قال تعالى : ﴿ سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ

---

(١) فقه السيرة النبوية– راغب السرجاني (٣٤/ ٢) وينظر/ السيرة النبوية– دروس وعبر –مصطفى السباعي (ص :١٢٤) وينظر/ السيرة النبوية لأبي الحسن الندوي ص :٤٢١

(٢) خاتم النبيين ﷺ (٣/ ٧٧٧)

(٣) سورة الفتح :٢٠

مِن قَبۡلُ ﴾[1] فقال رسول الله ﷺ لهم : « لا تخرجوا معي إلّا راغبين في الجهاد ، فأمّا الغنيمة فلا ، ثمّ أمر منادياً ينادي بذلك » .[٢] فلم يخرج مع النبي ﷺ إلا من بايع تحت الشجرة من الصحابة رضي الله عنهم .

واستعمل النبي ﷺ على المدينة سباع بن عرفطة الغفاري رضي الله عنه[٣]

واتخذ النبي ﷺ له أثناء توجهه إلى خيبر دليلين ماهرين بالطريق ؛ ليدلاه على الطريق الأحسن .

وبالفعل قال أحد الرجلين عند التحرك إلى خيبر : أنا أدلك يا رسول الله فأقبل حتى انتهى إلى مفرق طرق متعددة ، وقال : يا رسول الله هذه طرق يمكن الوصول من كل منها إلى المقصد ، فأمر أن يسميها له واحداً واحداً ، قال : اسم واحد منها : حزن ، فأبى النبي ﷺ من سلوكه ، وقال : اسم الآخر شاش ، فامتنع منه أيضاً ، وقال : اسم آخر حاطب ، فامتنع منه أيضاً ، قال الرجل : فما بقي إلا واحداً ، قال عمر رضي الله عنه : ما اسمه ؟ قال : مرحب ، فاختار النبي ﷺ السير من هذا الطريق الحسن الاسم[٤] ، وكان اختيار هذا الاسم الحسن من النبي ﷺ على سبيل التفاؤل ، فهو دائماً كان يعجبه الفأل الحسن ﷺ .

استعداد يهود خيبر لمواجهة النبي ﷺ بعد تحذير المنافقين لهم :

أرسل عبد الله بن أبي بن سلول إلى يهود خيبر يخبرهم : بأن محمداً في قصدكم ، وتوجه إليكم ، فخذوا حذركم ، وأدخلوا أموالكم في الحصون ، واخرجوا إلى قتاله ، ولا تخافوا منه ، فإن عددكم وسلاحكم كثير ، وقوم محمد شرذمة قليلون عزّل لا سلاح

---

(١) سورة الفتح :١٥

(٢) إنارة الدجى في مغازي خير الورى ﷺ- حسن بن المشاط المالكي (ص :٥٣٧) الناشر : دار المنهاج - جدة الطبعة الثانية- ١٤٢٦هـ .

(٣)الرحيق المختوم (ص : ٣٣٤)

(٤) المرجع السابق (ص : ٣٣٥)

فيهم إلا قليل .

لما وصلت رسالة ابن سلول إلى يهود خيبر أخذوا يستعدون للمواجهة ، ولم يكتفوا بالاستعداد والتحصن ، بل أرسلوا أحد زعماء اليهود واسمه « كنانة بن أبي الحقيق» إلى قبائل غطفان وعرضوا عليهم المال ؛ لكي يساعدوهم ويعاونوهم في حرب المسلمين ، وعرضوا عليهم نصف ثمار خيبر ، وبالفعل بدأت قبائل غطفان في التجهز للخروج في اتجاه خيبر ، وأعدوا جيشاً كبيراً جداً لهذا الأمر .[1]

أُسُس خطة النبي ﷺ عند توجهه لفتح خيبر :

اكتشفت طلائع المسلمين الاستطلاعية هذا التحرك لغطفان ، وبسرعة أخذ الرسول ﷺ عدة قرارات لكي يؤمن عملية فتح خيبر ، **من أهم هذه القرارات** :

أولاً : قيام النبي ﷺ بتأمين المدينة المنورة :

حرص النبي ﷺ على استقرار المدينة المنورة وتأمينها من أي اعتداء بعد توجُّهه إلى خيبر ، فأخرج ﷺ سرية بقيادة « أبان بن سعيد رضي الله عنه » باتجاه أعراب نجد حول المدينة ؛ لكي يثير الرعب في هذه المنطقة فلا تجرؤ غطفان ولا غيرها على مهاجمة المدينة ؛ لأنها خالية تقريباً من الرجال في ذلك الوقت .

ثانياً : إرسال سرية إلى ديار غطفان :

كان المسلمون يتجهون إلى الشمال باتجاه خيبر ، وبالرغم من ذلك أرسل الرسول ﷺ سرية إلى الشمال الشرقي إلى ديار غطفان ؛ لكي يوهم جيش غطفان أنه سيغزو ديارهم لا ديار اليهود ، وأمر هذه السرية أن تُظهر أمرها ولا تتخفى ، وتُحدث لغطاً وصوتاً عالياً ، لكي يلفت أنظار جيش غطفان فيعود مرة ثانية إلى دياره ، ولا يشترك مع أهل خيبر في الدفاع عن حصون خيبر ، وفعلاً هذا الذي حصل ، فجيش غطفان لما سمع الصوت رجع

(١) السيرة النبوية- راغب السرجاني (٣٤/ ٥)

سريعاً عائداً إلى قبائله وإلى دياره ، وترك يهود خيبر يواجهون الرسول ﷺ منفردين .[1]

ثالثاً : قيام النبي ﷺ بتغيير اتجاهه :

كانت المدينة المنورة تقع في جنوب خيبر وبالرغم من ذلك لم يدخل النبي ﷺ خيبر من جهة الجنوب وإنما دخلها من جهة الشمال ، ويكون بذلك حقق شيئين :

أولاً : فصل بين غطفان وبين خيبر بجيشه .

ثانياً : منع اليهود من الفرار إلى الشام وحاصرهم في منطقة خيبر ، إذ الطريق إلى الشمال صار مغلقاً بالجيش الإسلامي ، وهذا تخطيط عسكري رفيع المستوى .[2]

الروح المعنوية للجيش الإسلامي أثناء التوجه إلى خيبر :

تحرك الجيش الإسلامي لخيبر بروح عالية يملؤها التفاؤل بنصر الله تعالى ، حتى كان عامر بن الأكوع رضي الله عنه ينشد بهذه الكلمات أمام الصحابة رضي الله عنهم :

اللهم لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا

فاغفر فداء لك ما اتقينا وثبت الأقدام إن لاقينا

وألقين سكينة علينا إنا إذا صيح بنا أبينا

فقال رسول الله ﷺ : «من هذا السائق» ؟ قالوا : عامر بن الأكوع قال : «يرحمه الله» قال رجل من القوم : وجبت يا نبي الله .[3]

أي وجبت له الجنة ببركة دعائك ، وقيل وجبت له الشهادة بدعائك[4] ، وكانوا يعرفون أن رسول الله ﷺ لا يستغفر لإنسان يخصه إلا استشهد ، وقد استشهد بالفعل عامر رضي الله عنه في غزوة خيبر .

---

(١) ينظر/ خاتم النبيين ﷺ (٣/ ٧٧٧)

(٢) ينظر / السيرة النبوية- راغب السرجاني (٣٤/ ٥) ، وينظر/ جوامع السيرة بن حزم الأندلسي (ص :١٦٨)

(٣) أخرجه البخاري (٤١٩٦) في المغازي ، باب : غزوة خيبر ، ومسلم (١٨٠٢) في الجهاد والسير ، باب : غزوة خيبر

(٤) عمدة القاري شرح صحيح البخاري (١٧/ ٢٣٦)

وفي الطريق أشرفَ الناس على وادٍ فرفعوا أصواتهم بالتكبير « الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله» فقال رسول الله ﷺ : « أربعوا على أنفسكم ، إنكم لا تدعون أصمَّ ولا غائباً ، إنكم تدعون سميعًا قريبًا وهو معكم» .[١]

الجيش الإسلامي على مشارف خيبر :

لما أشرف رسول الله ﷺ على خيبر ، قال لأصحابه : « قفوا » ثمّ قال : « اللهم رب السماوات وما أظللن ، وربّ الأرضين وما أقللن ، ورب الشياطين وما أضللن ، ورب الرياح وما أذرين ؛ فإنّا نسألك خير هذه القرية ، وخير أهلها ، وخير ما فيها ، ونعوذ بك من شرها ، وشر أهلها ، وشر ما فيها ، أقدموا باسم الله »[٢]

وكان من هدي النبي ﷺ إذا غزا قوماً لم يغر عليهم حتى يصبح ، فإن سمع أذاناً أمسك ، وإن لم يسمع أذاناً أغار ، وكان ﷺ قد وصل خيبر ليلاً ، فبات حتى إذا أصبح لم يسمع أذاناً ، فتحركوا تجاه خيبر ، واستقبلوا عمال خيبر خارجين صباحاً إلى زروعهم ، قد خرجوا بمساحيهم ومكاتلهم ، فلما رأوا رسول الله ﷺ والجيش ، قالوا : محمد والخميس معه ![٣] فرجعوا هاربين ، فقال رسول الله ﷺ : الله أكبر ، خربت خيبر ، إنا إذا نزلنا بساحة قوم ، فساء صباح المنذرين .[٤]

وكان بخيبر عشرة آلاف مقاتل ، وكانوا لا يظنون أن رسول الله ﷺ يغزوهم حين بلغهم خروجه إليهم ، وكانوا يخرجون ويصطفون صفوفاً ثم يقولون : « محمد يغزونا هيهات هيهات» .[٥]

---

(١) ينظر/ السيرة النبوية والدعوة في العهد المدني (ص : ٥٣٢) وينظر/ السيرة النبوية لأبي الحسن الندوي (ص : ٤٢١)
(٢) الرحيق المختوم مع زيادات (ص : ٣٠٤)
(٣) والخميس : الجيش : سمي به لأنه مقسوم بخمس أقسام : المقدمة والساقة والميمنة والميسرة والقلب .
(٤) الروض الآنف ت الوكيل (٦/ ٥٠١)
(٥) السيرة الحلبية – إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون (٣/ ٤٩) بتصرف

صورة لإحدى قلاع خيبر

قوة يهود خيبر ومنعة حصونهم :

كانت خيبر عبارة عن ولاية في وادٍ متسعٍ تتناثر فيه التلال والمرتفعات ، وقد جعل اليهود كل تل قرية صغيرة تتكامل منافعها وحاجاتها ، وجعلوا كل بيت حصناً ، وأحاطوا البيوت بسور منيع حتى صارت كل قرية حصناً كبيراً . وقد أحاطوا مساكنهم بالنخيل والأشجار ؛ ليستفيدوا بثمرها ، ويستتروا بها من عدوهم ، ويعيشوا جنودًا محاربين ما دامت حياتهم فيها ، وقد سمى اليهود موطنهم بـ « خيبر» ومعناه الحصن ، والبعض يسميها « خيابر» إشارة إلى كونها مجموعة من الحصون المنيعة القوية .[1]

ونظراً لما في خيبر من زروع كثيرة ، وثمار متنوعة ، فإنهم كانوا يسخرونها لكسب مودة القبائل ، والتحالف ضد المسلمين .

وقد تصور كثير من العرب أن اليهود في خيبر قوة لن تهزم ، وكان اليهود الذين وادعوا المسلمين في المدينة يقولون بعد أن تحرك المسلمون إلى خيبر : لو رأيتم خيبر وحصونها لعلمتم أن المسلمين سيرجعون قبل أن يصلوا إليها ، حصون شامخات في ذرى الجبال ، والماء فيها دائم ، وقوتهم ظاهرة .[2]

(١) السيرة النبوية والدعوة في العهد المدني (ص : ٥٢٨)
(٢) السيرة النبوية والدعوة في العهد المدني (ص : ٥٢٨)

مشورة الحباب بن المنذر رضي الله عنه :

اقترب الرسول ﷺ من خيبر جداً ، وكان هذا الاقتراب في الليل ، فاختار ﷺ مكاناً وعسكر فيه قريباً من مجموعة « حصون النطاة » ، وعندما اختار هذا المكان جاء إليه الحباب بن المنذر رضي الله عنه وقال في أدب وتقدير لمقام النبوة : يا رسول الله صلى الله عليك ، إنك نزلت منزلك هذا ، فإن كان عن أمر أُمِرْت به فلا نتكلم فيه ، وإن كان الرأي تكلمنا ، فقال رسول الله ﷺ : بل هو الرأي ، فأخذ الحباب يلفت نظر النبي ﷺ إلى ضرورة الانتقال من هذا المكان القريب من حصن النطاة مبيناً ما يلي :

١ – جميع مقاتلي خيبر في حصون النطاة هذه ، وهم يدرون أحوالنا ونحن لا ندري أحوالهم .

٢ – أهل حصن النطاة عندهم مهارة في الرمي ، وسهامهم تصل إلينا لارتفاعهم وسهامنا لا تصل إليهم .

٣ – هذا مكان به نخل وقد يتسللون منه فيهجمون علينا ولا ندرك تسللهم وخاصةً بالليل .

٤ – هذا المكان أرض (نز) – بها ماء متحلب من الأرض – تكثر فيها الأمراض .

ثم قال الحباب رضي الله عنه : فلو أمرت بمكان آخر نتخذه معسكراً ، فقال ﷺ : الرأي ما أشرت به .

وغَيَّر ﷺ المكان ، فانظر إلى سعة صدر النبي ﷺ وتقديره لقضية الشورى وسماع آراء الآخرين .

ما يستفاد من الدرس :

١ – بيان حكمة النبي ﷺ في المبادرة بالتوجه إلى خيبر بعد صلح الحديبية .

٢ – تعدد أسباب فتح خيبر وكان من أهمها : التآمر مع أعداء الإسلام ضد المسلمين .

٣ – استعداد يهود خيبر واستنجادهم بغطفان لمواجهة المسلمين .

٤ – حرص النبي ﷺ على تطبيق مبدأ الأخذ بالأسباب عند فتح خيبر .

٥ – ارتفاع معنويات الجيش الإسلامي عند توجهه إلى خيبر ثقةً في نصر الله تعالى .

٦ – تقدير النبي ﷺ لمبدأ الشورى وأخذه برأي الحباب بن المنذر رضي الله عنه .

التقويم

س١ : تمم العبارات الآتية بما يناسبها مما بين القوسين فيما يأتي :

(غطفان – عمر بن الخطاب ﷺ – الحباب بن المنذر ﷺ – ودبّروا – قريش– ابن سلول)

١ـ قام يهود خيبر بالتجسس على المسلمين ..... المؤامرات لقتل النبي ﷺ .

٢ـ بعث ..... برسالةٍ إلى يهود خيبر يخبرهم بتحرك النبي ﷺ لقتالهم .

٣ـ من حسن تخطيط النبي ﷺ منع انضمام ..... ليهود خيبر .

٤ـ أخذ النبي ﷺ برأي ..... في الانتقال بالجيش من مكانه في خيبر .

س٢ : علل ما يأتي :

١ـ إرسال النبي ﷺ سريَّةً إلى ديار غطفان قبل فتح خيبر :

.....

.....

٢ـ إحاطة يهود خيبر مساكنهم بالنخيل والأشجار :

.....

.....

٣- دخول النبي ﷺ خيبر من جهة الشمال وليس من الجنوب :

. . . . . .

. . . . . .

٤- خروج بعض النساء المسلمات مع الجيش في غزوة خيبر :

. . . . . .

. . . . . .

س٣ : انسب العبارات الآتية إلى قائليها :

١- « أربعوا على أنفسكم ، إنكم لا تدعون أصمَّ ولا غائباً»

القائل (. . . . .)

٢ - « إنك نزلت منزلك هذا ، فإن كان عن أمر أمرت به فلا نتكلم فيه»

القائل (. . . . .)

س٤ : اختر المكمل الصحيح مما بين القوسين بوضع خط تحته فيما يأتي :

١ـ وقعت غزوة خيبر في سنة : (٩ هـ - ٧ هـ - ٥ هـ)

٢ـ عدد النساء المسلمات اللاتي خرجن مع النبي ﷺ في خيبر :

(عشرون - ثلاثون - أربعون)

٣ـ تحرَّك الجيش الإسلامي نحو خيبر وهو :

(خائف متراجع - مرتفع المعنويات - قلق مضطرب)

٤ـ تغيير النبي ﷺ مكان الجيش دليل على :

(تقديره للشورى - استقلاله برأيه - كراهية الشورى)

س٥ : سجل بقلمك قيمة تربوية من موقف الحباب بن المنذر رضي الله عنه في غزوة خيبر ومظهرين سلوكيين لها :

القيمة : (.....)

المظاهر السلوكية : ١- .....

٢- .....

الدرس الرابع

تابع غزوة خيبر

تمهيد

انتظم الجيش الإسلامي أمام حصون خيبر ، مستكملاً كل مقومات النصر : من عُدَّةٍ ، وخطةٍ ، وطاعةٍ للنبي القائد ﷺ ، وإيمان راسخ ، ويقين في نصر الله تعالى ، وأصبح الجيش منتظراً أمر النبي ﷺ .

أما اليهود فقد أشار عليهم (سلَّام بن مشكم) بجمع أموالهم وعيالهم في حصن (الكتيبة) ، وحشد المقاتلة في حصن (النطاة) وهو حصن حصين ، ودخل عليهم وأخذ يحرضهم على القتال ، وكانت كثرة النخل تحول دون تحركات المسلمين ، فأمر النبي ﷺ بقطع النخيل المحيط بحصن « النطاة » ، فقطع المسلمون نحو أربعمئة نخلة ، ولمّا رأى رسول الله ﷺ تصميم اليهود على الحرب نهى عن القطع ، ثم ابتدأ القتال مع حصن « ناعم» بالمُراماة ، وكان اليهود يحرصون على القتال أمام الحصن ، فإذا انهزموا عادوا مسرعين ، وأغلقوا الأبواب ، وظلوا على ذلك عدة أيام ولم يتم فتح هذا الحصن بادئ الأمر .[1]

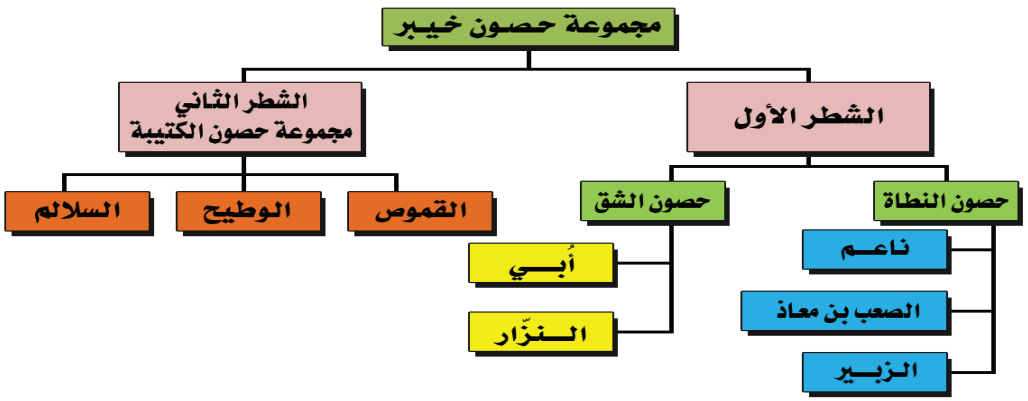

(١) نور اليقين في سيرة سيد المرسلين (ص : ١٨٠) وينظر/ القول المبين في سيرة سيد المرسلين (ص : ٣٢٧)

النبي ﷺ يكلف علياً رضي الله عنه بحمل الراية في فتح خيبر :

لما كانت ليلة فتح حصن « ناعم» قال النبي ﷺ : « لأعطين الراية غداً رجلاً يفتح على يديه ، يحب اللَّه ورسوله ، ويحبه اللَّه ورسوله » ، فبات المهاجرون والأنصار يتمنّونها ، حتى قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : ما تمنيت الإمارة إلّا ليلتئذ[1] فقال رسول الله ﷺ : « أين علي بن أبي طالب » ، فقالوا : يا رسول الله هو يشتكي عينيه ، قال : « فأرسلوا إليه » . فأُتي به ، فنفث رسول اللَّه ﷺ في عينيه ، ودعا له فبرئ ، كأن لم يكن به وجع ، فأعطاه الراية ، فقال : يا رسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا – أي مسلمين – قال له رسول الله ﷺ : « انفذ على رسلك ، حتى تنزل بساحتهم ، ثم ادعهم إلى الإسلام ، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه ، فو الله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حُمر النعم »[2]

بدء المعركة وفتح حصن « ناعم » :

أول حصن هاجمه المسلمون من حصون خيبر الثمانية : « حصن ناعم » ، وكان خط الدفاع الأول لليهود ؛ لمكانته الهامة عندهم ، وكان هذا الحصن هو حصن « مرحب» ، البطل اليهودي الذي كان يُعد بألف فارس فخرج علي بن أبي طالب رضي الله عنه بالمسلمين إلى هذا الحصن ، ودعا اليهود إلى الإسلام ، فرفضوا هذه الدعوة ، وبرزوا من الحصن للقتال ، ومعهم ملكهم مِرْحَبُ ذلك الفارس القوي ، وإذا بمرحب يدعو إلى المبارزة وأخذ يفتخر قائلاً :

قد علمت خيبر أني مرحبُ شاكي السلاح بطل مجربُ
إذا الحروب أقبلت تلهبُ

---

(١) نور اليقين في سيرة سيد المرسلين (ص : ١٨٠)
(٢) رواه البخاري – باب فضل من أسلم على يديه رجل – (رقم ٣٠٠٩)

فبرز له الصحابي الشجاع عامر بن الأكوع ﷺ فقال :

قد علمت خيبر أني عامرُ شاكي السلاح بطلٌ مغامرُ

وبدأت المبارزة بينهما ، فاختلفا ضربتين ، فوقع سيف مرحب في ترس عامر ﷺ ، فذهب عامر ﷺ يَسْفُلُ لمرحب ، أي يضربه من أسفل ، وكان سيفه قصيراً ، فعاد سيفه على نفسه ، فأصاب نفسه في ركبته فمات ، قال سلمة بن الأكوع ﷺ : فقلت للنبي ﷺ زعموا أن عامراً حبط عمله - يقصد لأنه قتل نفسه بضربته - فقال ﷺ : كذب من قال ذلك إن له أجرين - وجمع بين إصبعيه - إنه لجاهِدٌ مُجَاهد ، قلَّ عربيٌ مشى بها مثله » .[1]

ولم يكتف مرحب بذلك بل دعا للمبارزة مرة أخرى ، وجعل يرتجز بقوله : قد علمت خيبر أني مرحب . .

فبرز له علي بن أبي طالب ﷺ قائلاً :

أنا الذي سمتني أمي حيدره كليث غابات كريه المنظره [2]

أُوفيهِمُ بالصاع كيل السَّندره [3]

فضرب رأس مرحب فقتله ، ثم كان الفتح على يديه ، ولما دنا علي ﷺ من حصونهم اطلع يهودي من رأس الحصن ، وقال : من أنت ، فقال : أنا علي بن أبي طالب ، فقال اليهودي : علوتم وما أنزل على موسى ، ثم خرج ياسر أخو مرحب وهو يقول : من يبارز؟ فبرز إليه الزبير ، فقالت صفية أم الزبير ﷺ : يا رسول الله ، يقتل ابني ؟

(١) رواه البخاري- باب غزوة خيبر- (٤١٩٦) . وقوله (حبط عمله) أي بطل عمل عامر ﷺ لأنه قتل نفسه بسيفه . (لجاهد) يجهد نفسه بالطاعة . (مجاهد) في سبيل الله تعالى . (مشى بها) أي : بهذه الخصلة الحميدة ، أو مشى بالأرض . وهي خصلة الجهاد مع الجهد . (نشأ) شب وكبر .

(٢) (أنا الذي سمتني أمي حيدرة) حيدرة اسم للأسد ، وكان علي ﷺ قد سمى أسداً في أول ولادته . وكان مرحب قد رأى في المنام أن أسداً يقتله . فذكره علي ﷺ بذلك ليخيفه ويضعف نفسه وسمي الأسد حيدرة لغلظه والحادر الغليظ القوي ومراده : أنا الأسد في جراءته وإقدامه وقوته . (غابات) جمع غابة وهي الشجر المتلف وتطلق على عرين الأسد أي مأواه .

(٣) (أوفيهم كيل السندرة) معناه أقتل الأعداء قتلاً واسعاً ذريعاً ، والسندرة مكيال واسع .

قال : « بل ابنك يقتله » ، فقتله الزبير ﷺ ، ودار القتال المرير حول حصن ناعم ، قُتِلَ فيه عدد من قيادات اليهود ، انهارت لأجله مقاومة اليهود ، وعجزوا عن صد هجوم المسلمين ، وقد استمر القتال حول هذا الحصن أياماً لاقى المسلمون فيها مقاومةً شديدةً ، إلا أن اليهود يئسوا من مقاومة المسلمين ، فتسللوا من هذا الحصن إلى حصن الصعب بن معاذ ، واقتحم المسلمون « حصن ناعم » .[1]

فتح «حصن الصعب بن معاذ » :

كان « حصن الصعب بن معاذ » : الحصن الثاني من حيث القوة والمنعة بعد حصن ناعم ، وكان رسول الله ﷺ قد أعطى القيادة فيه للحباب بن المنذر ﷺ ، وقام المسلمون بالهجوم عليه ، ففرضوا عليه الحصار ثلاثة أيام ، وفي اليوم الثالث ، دعا رسول الله ﷺ لفتح هذا الحصن دعوةً خاصةً ، وذلك أن بني سهم أتوا رسول الله ﷺ ، فقالوا : لقد جَهِدْنا وما بأيدينا من شيء ، فدعا لهم رسول الله ﷺ أن يَفتح الله عليهم أكثر حصون خيبر طعاماً ، ففتح الله عليهم حصن الصعب بن معاذ ، وما بخيبر حصن كان أكثر طعاماً وودكاً منه .[2]

فتح قلعة الزبير :

وبعد فتح « حصن ناعم » ، وحصن « الصعب بن معاذ » ، تحول اليهود من كل حصون « النطاة » إلى « قلعة الزبير» ، وهو حصن منيع في رأس قمة عالية ، لا تقدر عليه الخيل والرجال لصعوبته وامتناعه ، ففرض عليه رسول الله ﷺ الحصار ، وأقام محاصراً له ثلاثة أيام ، فجاء رجل من اليهود ، وقال : يا أبا القاسم إنك لو أقمت شهراً ما بالَوْا ، إن لهم شراباً وعيوناً تحت الأرض ، يخرجون بالليل ويشربون منها ، ثم يرجعون إلى قلعتهم فيمتنعون

(١) الرحيق المختوم مع زيادات (ص : ٣٠٦)
(٢) والودك : دسم اللحم

منك ، فإن قطعت مشربهم عليهم أصحروا لك[1] ، فقطع ماءهم عليهم ، فخرجوا فقاتلوا أشد القتال ، حتى تمكنوا من قتل بعض المسلمين ، وأصيب نحو العشرة من اليهود ، وافتتحه رسول الله ﷺ .[2]

انتقال اليهود إلى حصون الشق (حصن أُبيّ ، وحصن النزَّار) :

فتح حصن أُبي :

بعد فتح قلعة الزبير ، انتقل اليهود إلى قلعة أُبي وتحصنوا فيها ، وفرض المسلمون عليهم الحصار ، وقام فارسان من اليهود الواحد بعد الآخر يطلب المبارزة ، فخرج لهما فارسان من المسلمين ، فقتلا اليهوديين ، وكان أحد هذين الفارسين المسلمين البطل المشهور أبو دجانة « سماك بن خرشة الأنصاري رضي الله عنه » صاحب العصابة الحمراء في غزوة أحد ، وقد أسرع أبو دجانة بعد قتل اليهودي إلى اقتحام القلعة ، واقتحم معه الجيش الإسلامي وجرى قتالٌ مريرٌ ساعةً داخل الحصن ، ثم تسلل اليهود وهربوا إلى حصن النزَّار آخر حصون الشطر الأول .[3]

فتح حصن النزَّار :

كان هذا الحصن أمنع حصون هذا الشطر ، وكان اليهود على شبه اليقين بأن المسلمين لا يستطيعون اقتحام هذا الحصن مهما بذلوا من جهد ؛ لكونه يقع على جبل مرتفع منيع ، ولذلك جعلوا فيه الذراري والنساء ، وقد فرض المسلمون على هذا الحصن حصاراً شديداً ، ولقد كان اليهود لا يجترئون على الخروج من الحصن ، للاشتباك مع قوات المسلمين ، لكنهم قاوموا المسلمين مقاومة عنيدة برَشق النبال ، وإلقاء الحجارة ، وعندما استعصى حصن النزَّار على قوات المسلمين ، أمر النبي ﷺ بنصب آلات المنجنيق ، ويبدو أن المسلمين

---

(١) أصحروا : أي خرجوا إلى الصحراء
(٢) الرحيق المختوم مع زيادات (ص : ٣٠٧)
(٣) ينظر / الرحيق المختوم مع زيادات (ص : ٣٠٨) نظر/ السيرة النبوية- راغب السرجاني (٣٤/ ١٣)

قذفوا بها القذائف ، فأوقعوا الخلل في جدران الحصن ، واقتحموه ، ودار قتال مرير في داخل الحصن ، انهزم أمامه اليهود هزيمةً منكرةً ، لدرجة أنهم فروا هاربين من الحصن تاركين للمسلمين نساءهم وذراريهم .

وبعد فتح هذا الحصن المنيع تم فتح الشطر الأول من خيبر ، وهي مجموعة حصون (النطاة ، والشق) وكان في هذه الناحية حصون صغيرة أخرى ، إلا أن اليهود بمجرد فتح هذا الحصن أخْلَوا هذه الحصون ، وهربوا إلى الشطر الثاني من خيبر ، أي إلى : مجموعة حصون الكتيبة .[1]

فتح الشطر الثاني من خيبر (حصون الكتيبة) :

- تحوّل رسول الله ﷺ إلى الشطر الثاني المسمى بـ (الكتيبة) وهو مكون من ثلاثة حصون :

١- القموص ٢- الوَطيح ٣- السُّلالم

- وانضم إلى يهود هذه الحصون كل من انهزم وهرب من (النطاة والشق) ، وتحصنوا أشد التحصن .

- فلما أتى رسول الله ﷺ إلى هذه الناحية - الكتيبة- فرض على أهلها حصاراً شديداً ، ودام الحصار أربعة عشر يوماً ، واليهود لا يخرجون من حصونهم ، حتى همّ رسول الله ﷺ أن ينصب عليهم المنجنيق ، فلما أيقنوا بالهلكة سألوا رسول الله ﷺ الصلح .[2]

المفاوضة وشروط الاستسلام :

أرسل ابن أبي الحقيق إلى رسول الله ﷺ أنزل فأكلمك ؟ قال : نعم ، فنزل ، وصالح على حقن دماء من في حصونهم من المقاتلة ، وترك الذرية لهم ، ويخرجون من خيبر

(١) ينظر/ السيرة النبوية- راغب السرجاني (٣٤/ ١٣) و ينظر / الرحيق المختوم مع زيادات (ص : ٣٠٨)

(٢) اختلف أهل المغازي هل جرى القتال في أي حصن من حصون (الكتيبه) الثلاثة أم لا؟ فسياق ابن اسحاق صريح في جريان القتال لفتح حصن القموص بل يؤخذ من سياقه أن هذا الحصن تم فتحه بالقتال ، أما الواقدي ، فيصرح تمام التصريح أن قلاع هذا الشطر الثلاثة إنما أخذت بعد المفاوضة ، ويمكن أن تكون المفاوضة قد جرت لاستلام حصن القموص بعد إدارة القتال . وأما الحصنان الآخران فقد سلما إلى المسلمين دونما قتال .

وأرضها بذراريهم ، ويُخَلُّون بين رسول الله ﷺ وبين ما كان لهم من مال وأرض ، وعلى الصفراء والبيضاء – أي الذهب والفضة – والكراع[١] والحلقة[٢] ، فقال رسول الله ﷺ : «وبرئت منكم ذمة الله وذمة رسوله إن كتمتموني شيئاً» ، فصالحوه على ذلك . « وبعد هذه المصالحة تم تسليم الحصن إلى المسلمين .[٣]

وكذلك حاصر رسول الله ﷺ حصني (الوطيح والسُّلالم) حتى إذا أيقنوا بالهلكة استسلموا .

تسامح ديني منقطع النظير :

تم فتح خيبر بكافة حصونها واستسلمت لرسول الله ﷺ ، بعد جهاد عظيم . وقد غَنِمَ المسلمون منها مغانم كثيرة ، وكان من بين المغانم التي غنمها المسلمون في غزوة خيبر صحائف متعدّدة من التوراة ، فلمّا جاء اليهود يطلبونها أمر النّبيّ ﷺ بتسليمها لهم[٤] . وهذا يدل على ما كان لهذه الصحائف في نفس الرسول ﷺ من تقدير ، مما جعل اليهود يشيرون إلى النبي ﷺ بالبنان حيث لم يتعرض بسوء لصحفهم المقدسة ، وأخذوا يذكرون في مقابل ذلك ما فعله الرومان حين تغلبوا على أورشليم – القدس – وفتحوها سنة ٧٠ بعد الميلاد ، إذ أحرقوا الكتب المقدسة وداسوها بأرجلهم ، وكذلك يذكرون مقابل هذا التسامح الإسلامي ما فعله المتعصبون من النصارى في حروب اضطهاد اليهود في أماكن متعددة حين أحرقوا أيضاً صحف التوراة .[٥] إنه الفرق الكبير بين من أرسله الله رحمةً للعالمين بتسامحه وأخلاقه ﷺ ، وبين الجهلاء والمتعصبين من أصحاب المذاهب والأديان الأخرى .

---

(١) الكراع : الخيل
(٢) الحلقة : الدروع
(٣) الرحيق المختوم مع زيادات (ص : ٣٠٩)
(٤) السيرة النبوية لأبي الحسن الندوي (ص : ٤٢٦)
(٥) دراسة في السيرة (ص : ٢٩٥)

اليهود يطلبون من النبي ﷺ البقاء في زراعة أرض خيبر على شطر الزرع :

أراد رسول الله ﷺ أن يجلي اليهود من خيبر ، فقالوا : يا محمد ، دعنا نكن في هذه الأرض نصلحها ، ونقوم عليها ، فنحن أعلم بها منكم ، ولم يكن لرسول الله ﷺ ولا لأصحابه رضي الله عنهم غلمان يقومون على زراعتها ، وليس عندهم وقت فراغ لتعاهدها بالزرع والسقي والحصاد ؛ إذ أنهم في جهاد متواصل . فصالحهم رسول الله ﷺ على ذلك وقال لهم : «على أنّا إن شئنا أن نخرجكم أخرجناكم »[1] . فأعطاهم خيبر على أن لهم الشطر من كل زرع ، ومن كل ثمر ما بدا لرسول الله ﷺ أن يبقيهم فيها .

ولقد أغنى الله المسلمين بما غنموا من خيبر حتى أخذ المهاجرون يردون على إخوانهم الأنصار ما كانوا أعطوه لهم من نخيل وزرع حيث أصبح لهم بخيبر مال ونخيل .[2]

أحداث هامة بعد فتح خيبر :

وقعت أحداث هامة بعد فتح خيبر نجملها فيما يأتي :

١ - زواج النبي ﷺ بالسيدة صفية بنت حيي رضي الله عنها .

٢ -نجاة النبي ﷺ من محاولة إمرأة يهودية لقتله بوضع السُّم في لحم شاة قدَّمتها له ﷺ .

٣- استسلام بعض التجمعات اليهودية الصغيرة بعد خيبر مثل :

يهود تيماء ، يهود وادي القرى ، يهود فدك .

العودة إلى المدينة وفرح النبي ﷺ برجوع جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه

بعد هذا الجهاد العظيم رجع رسول الله ﷺ هو وأصحابه منتصرين فرحين بما أكرمهم الله تعالى من ثواب ، وفتح ، وغنيمة ، ثم زاد الله تعالى تلك الفرحة فرحة أخرى وسروراً

---

(١) فقه السيرة النبويه مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة (ص :٢٤٤)

(٢) الرحيق المختوم مع زيادات (ص : ٣١٠) بتصرف

جديداً بقدوم المهاجرين الذين كانوا في الحبشة ، وعلى رأسهم جعفر بن أبي طالب ﷺ الذي كان يحبه النبي ﷺ حبّاً شديداً ، حتى قال ﷺ « والله ما أدري بأَيهما أفرح ، بفتح خيبر أم بقدوم جعفر» .[1]

وبالقضاء على اليهود في خيبر ، وفي المناطق التي حولها ، لم يبق لليهود وجود قوي في جزيرة العرب ، ومع ذلك رفضوا الدخول في دين الله تعالى ، واستمروا في كيدهم للإسلام والمسلمين ، حتى طردهم عمر بن الخطاب ﷺ نهائياً في خلافته من بلاد الحجاز بسبب تكرار اعتدائهم على المسلمين .[2]

ما يستفاد من الدرس :

١ ـ أخذ النبي ﷺ والمسلمين بكافة أسباب النصر من : توكل على الله تعالى ، وخطة ، وسلاح .

٢ ـ بيان فضل علي بن أبي طالب ﷺ وشجاعته وإقدامه في القتال .

٣ ـ تساقط حصون خيبر وطلب اليهود البقاء في أرض خيبر لزراعتها على نصف إنتاجها .

٤ ـ زواج النبي ﷺ من السيدة صفية بنت حيي بعد إسلامها .

٥ ـ فرحة النبي ﷺ بفتح خيبر وعودة جعفر بن أبي طالب بالمهاجرين ﷺ من الحبشة .

٦ ـ القضاء على التواجد اليهودي سياسياً في جزيرة العرب بعد فتح خيبر .

---

(١) رواه الحاكم في المستدرج على الصحيحين- ذكر مناقب جعفر بن أبي طالب رقم ٤٩٣١ وينظر/ السيرة النبوية لابن كثير (٣/ ٣٩١)

(٢) السيرة النبوية والدعوة في العهد المدني (ص : ٥٤٤) وينظر السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث (ج ١ ص ٧٠٢)

التقويم

س١ : ضع علامة (√) مقابل العبارة الصحيحة وعلامة (X) مقابل العبارة غير الصحيحة فيما يأتي :

١- أول حصن تمَّ فتحه في خيبر « حصن ناعم » . ( )

٢- أعطى النبي ﷺ الراية في فتح خيبر لسعد بن معاذ رضي الله عنه . ( )

٣- قبل النبي ﷺ الصلح مع يهود خيبر على الربع من ناتج الأرض . ( )

س٢ : علل ما يأتي :

١ـ أمر النبي ﷺ بقطع النخيل الموجود حول «حصن النطاة » :

. . . . . .

. . . . . .

٢ـ وضع اليهود نساءهم وذراريهم في « حصن النزَّار » :

. . . . . .

. . . . . .

س٣ : من الشخصية المقصودة فيما يأتي :

١ـ صحابي قام بمبارزة ياسر أخو مرحب اليهودي وقتله .

(. . . . .)

٢- قال عنه النبي ﷺ « إنه لجاهِدٌ مُجاهد ، قلَّ عربيٌّ مشى بها مثله » .

(. . . . .)

س٤ : انسب العبارات الآتية إلى قائليها :

١ـ « ما تمنيت الإمارة إلّا ليلتئذ »

القائل (.....)

٢ـ « والله ما أدري بأيهما أفرح ، بفتح خيبر أم بقدوم جعفر »

القائل (.....)

س٥ : رتِّب الحصون الآتية حسب أوليَّة فتح المسلمين لها :

(الصعب بن معاذ – الزبير – أبي – ناعم)

١ـ .....

٢ـ .....

٣ـ .....

٤ـ .....

س٦ : صوب ما تحته خط فيما يأتي :

١ـ تزوج النبي ﷺ بعد غزوة خيبر بالسيدة أم سلمة رضي الله عنها . (.....)

٢ـ فرح النبي ﷺ بعد فتح خيبر بعودة علي بن أبي طالب رضي الله عنه من الحبشة .

(.....)

الدرس الخامس

كتب الرسول ﷺ إلى الملوك والأمراء

تمهيد : حول عالمية الدعوة الإسلامية :

أرسل الله تعالى رسوله محمداً ﷺ رحمة للعالمين كافة ، يأخذ بأيدي الناس جميعاً- وليس العرب وحدهم - إلى عبادة الله الخالق قال تعالى :﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧ ﴾[1] ، وقال الرسول ﷺ : « أعطيت خمساً لم يعطهن نبي قبلي- وذكر منها : وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة»[2] ومن ثم فإن مسألة عالمية الدعوة وعمومها للعرب والعجم من الأساسيات التي نصت عليها آيات القرآن الكريم وأحاديث النبي ﷺ منذ اللحظات الأولى من بعثته ﷺ .

الحكمة من تأخر مراسلة النبي ﷺ للملوك والأمراء .

لعل البعض يثير تساؤلاً حول تأخر إرسال النبي ﷺ الكتب للملوك والأمراء حتى تم صلح الحديبية مع قريش ، فيقولون : إذا كان النبي ﷺ مرسلاً إلى الناس كافة فلماذا لم يراسل الملوك والأمراء من حوله منذ اللحظة الأولى لدعوته ؟

والإجابة على هذا التساؤل تتلخص في أمور من أهمها :

١ـ مراعاة الواقع الذي كان يعيشه النبي ﷺ والصحابة رضي الله عنهم حيث كانوا مضطهدين ومشردين .

٢ـ إرسال الكتب إلى الملوك في ظل هذه الظروف لا يجدي نفعاً بل يكون بمثابة العبث الذي لا يفيد .

٣ـ قد يكون لإرسال الكتب في هذه الفترة المبكرة آثار سلبية أكثر من آثارها الإيجابية ؛ إذ

(١) سورة الأنبياء :١٠٧

(٢) رواه البخاري/ كتاب التيمم رقم ٣٣٥

أنها قد تلفت الأنظار إلى هذه الجماعة المسلمة الصغيرة الناشئة فتُستأصل في مهدها .[1]

وهنا ينبغي أن نعلم أن الإسلام دين يعلمنا مراعاة الواقع الذي نعيشه ، ومن ثم فقد حرص النبي ﷺ على إقامة الدولة الإسلامية أولاً قبل مخاطبة الملوك والأمراء ، وبمجرد أن تم صلح الحديبية وأمن جانب قريش واليهود داخل الجزيرة العربية ، حتى بدأت تلك المرحلة الجديدة ، وهي الانطلاق بالإسلام خارج الجزيرة العربية ومراسلة الملوك والأمراء .

استعدادات وتهيئة قبل القيام بمهمة إرسال الكتب إلى الملوك :

لما أراد النبي ﷺ أن يبعث بعض أصحابه بالكتب إلى الملوك والأمراء خرج عليهم ذات يوم ، وقال : أيها الناس ، إن الله قد بعثني رحمةً وكافةً ، فلا تختلفوا علي كما اختلف الحواريون على عيسى بن مريم ، فقال أصحابه : وكيف اختلف الحواريون يا رسول الله ؟ قال : دعاهم إلى الذي دعوتكم إليه ، فأما من بعثه مبعثاً قريباً فرضي وسلم ، وأما من بعثه مبعثاً بعيداً فكره وجهه وتثاقل »[2]

لقد كانت هذه العبارات حافزاً للصحابة رضي الله عنهم في السمع والطاعة ، والمبادرة إلى تنفيذ ما يوكل إليهم من مهام ، ولقد اختار النبي ﷺ لهذه المهام الصعبة التي من الممكن أن يفقد الإنسان فيها حياته ، رجالاً لهم صفات خاصة ، **ومن أهم هذه الصفات** :

١ـ الفهم الجيد للإسلام .

٢ـ حسن المظهر .

٣ـ الفصاحة ، ومهارة الحوار ، وسرعة البديهة ، وحسن التصرف .

٤ـ معرفة الصحابي بلغة القوم الذين يرسل إليهم و طبائعهم و دياناتهم .

٥ـ المعرفة بطرق السفر التي يسير فيها حتى لا يضل الطريق .

ولما أراد أن يكتب إلى هؤلاء الملوك قيل له : إن هؤلاء الملوك لا يقرؤون كتاباً إلا أن يكون

(١) ينظر/ السيرة النبوية- راغب السرجاني (٣٣/ ٣) باختصار وتصريف
(٢) سيرة ابن هشام ت السقا (٢/ ٦٠٧)

مختوماً ، فاتخذ ﷺ خاتماً من فضة ونقش فيه ثلاثة أسطر : « محمد » في سطر ، و « رسول» في سطر ، و « الله » في سطر ، هكذا « محمد رسول الله »[1] ولننظر إلى هذا الأدب النبوي في جعل لفظ الجلالة « الله » هو الأعلى في الخاتم . وإنما كانوا لا يقرؤون الكتاب إلا مختوماً خوفاً من كشف أسرارهم ، وللإشعار بأن ما اشتمل عليه الكتاب لم يطلع عليه أحد .[2]

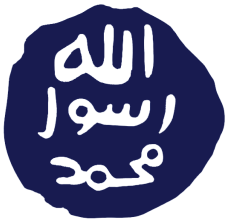

شكل توضيحي لخاتم الرسول ﷺ

كتاب النبي ﷺ إلى هرقل ملك الروم :

أمر النبي ﷺ بكتابة كتاب إلى « هرقل » ملك الروم ، ثم قال بعد تمام الكتاب « من ينطلق بكتابي هذا إلى هرقل وله الجنة » فقالوا : وإن لم يصل يا رسول الله ؟ قال : وإن لم يصل ، فأخذه دحية بن خليفة الكلبي رضي الله عنه .

سمات بارزة في كتاب النبي ﷺ إلى هرقل :

١ـ اشتمال عباراتها على حسم ووضوح .

٢ـ سهولة العبارة وبعدها عن الشِّدة والعنف .

٣ـ إظهار الإكرام لهرقل في ألفاظها لتأليف قلبه وتحبيبه في الإسلام .

---

(١) المنهج الحركي للسيرة النبوية منير محمد الغضبان (٣/ ٤٨) الطبعة : السادسة ، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م الناشر : مكتبة المنار - الأردن - الزرقاء

(٢) المواهب اللدنية بالمنح المحمدية (١/ ٥٤٠)

نص الكتاب :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم : سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد ، فإني أدعوك بدعاية الإسلام ، أسلم تسلم ، يؤتك الله أجرك مرتين ، فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين »

﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ٦٤ ﴾(١)

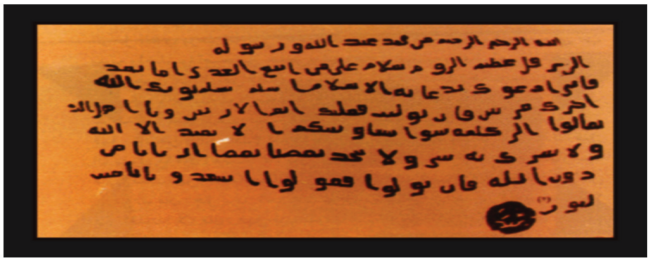

كتاب النبي ﷺ الى هرقل ملك الروم

رد هرقل ملك الروم على كتاب النبي ﷺ وموقفه منه :

لما قُرِئَ كتاب النبي ﷺ أمام هرقل ، غضب ابن أخي هرقل غضباً شديداً ، وقال : أرنى الكتاب ، فقال له هرقل : وما تصنع به ؟ : فقال : إنه بدأ بنفسه ، وسمَّاك صاحب الروم ، فقال له عمه : إنك لضعيف الرأي ، أتريد أن أرمى بكتاب رجل يأتيه الناموس الأكبر ، ثم أمر بإكرام دحية رضي الله عنه .(٢)

وكتب إلى النبي ﷺ كتاباً جاء فيه : « إلى أحمد رسول الله الذي بشر به عيسى ؛ من قيصر ملك الروم ، إنه جاءني كتابك مع رسولك ، وإني أشهد أنك رسول الله ، نجدك

(١) سورة آل عمران : ٦٤

(٢) المواهب اللدنية بالمنح المحمدية (١/ ٥٤١)

عندنا في الإنجيل ، بشرنا بك عيسى بن مريم ، وإني دعوت الروم إلى أن يؤمنوا بك فأبوا ، ولو أطاعوني لكان خيراً لهم ، ولوددت أني عندك فأخدمك وأغسل قدميك »[1] .

حوار بين هرقل وأبي سفيان حول النبي ﷺ :

عندما وصلت رسالة النبي ﷺ إلى هرقل ، كان أبو سفيان بن حرب في رحلة تجارية إلى الشام مع مجموعة من تجار قريش ، وكان لا يزال على كفره ، وكانت هذه الرحلة بعد صلح الحديبية ، فرأى هرقل أن يسمع من بعض العرب ؛ لأنهم قوم النبي ﷺ وأعرف الناس به ، فأخذ يسأل أبا سفيان وله ترجمان يترجم له كلام أبي سفيان ، ومن ثمَّ فقد سأله عن : نسب النبي ﷺ ، وصفاته ، ومبادئ دينه ، وأتباعه من الناس . فلما أجابه أبو سفيان عن أسئلته ، قال له هرقل : فإن كان ما تقول حقاً فسيملك موضع قدمي هاتين ، وقد كنت أعلم أنه خارج ، لم أكن أظن أنه منكم ، فلو أني أعلم أني أخلص إليه لتجشمت لقاءه ، ولو كنت عنده لغسلت عن قدمه »[2]

ولقد لفت اهتمام هرقل بكتاب النبي ﷺ نظر أبي سفيان حتى قال عن النبي ﷺ بعد أن خرج هو ومن معه من عند هرقل : « إنه يخافه ملك بني الأصفر ، فما زلت موقناً أنه سيظهر حتى أدخل الله على الإسلام . »[3]

من مظاهر تعظيم هرقل للنبي ﷺ ولرسالته :

تعددت مظاهر تكريم هرقل للنبي ﷺ ولرسالته التي أرسلها مع دحية بن خليفة رضي الله عنه ، ومن ذلك :

١- التصديق بنبوة النبي ﷺ حتى قال لحامل الرسالة دحية بن خليفة رضي الله عنه « بلغ صاحبك

---

(١) مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة ، محمد حميد الله ، ص ١١١

(٢) رواه البخاري/ باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ رقم٧

(٣) الأغصان الندية شرح الخلاصة البهية بترتيب أحداث السيرة النبوية محمد بن طه (ص :٣٤٩)

أني أعلم أنه نبي»

٢ - أخذ الكتاب فوضعه على رأسه وقبله .

٣ - وضع الكتاب في مسك وطواه في الديباج والحرير .

٤ ـ دعا عظماء قومه إلى قصره وأمر بإغلاق الأبواب ثم دعاهم إلى الإيمان بالنبي محمد قائلاً لهم : يا معشر الروم هل لكم في الفلاح والرشد ، وأن يثبت ملككم فتبايعوا هذا النبي ، فحاصوا حيصة حُمُرِ الوحش إلى الأبواب فوجدوها قد غلِّقت . فلما رأى هرقل نفرتهم وأيس من الإيمان قال : ردوهم عليّ . وقال إني قلت مقالتي آنفاً أختبر بها شدتكم على دينكم . فقد رأيت ، فسجدوا له ورضوا عنه .

ثم كتب لرسول الله ﷺ كتابًا مع دحية رضي الله عنه يقول فيه : إنّي مسلم ولكنّي مغلوب على أمري ، فلما قرأ رسول الله ﷺ كتابه ، قال : كذب عدوّ الله ، ليس بمسلم بل هو على النّصرانيّة .[1]

ما يستفاد من الدرس :

١ ـ إرسال النبي ﷺ الكتب إلى الملوك والأمراء دلالة على عالمية الإسلام لكل البشر .

٢ ـ ضرورة الإعداد والتهيئة النفسية قبل القيام بالأعمال المهمة .

٣ ـ حسن اختيار النبي ﷺ للصحابة الذين أرسلهم بالكتب إلى الملوك والأمراء .

٤ ـ كتاب النبي ﷺ إلى هرقل كان حاسماً وواضحاً مع لطف العبارات لتحبيبه في الإسلام .

٥ ـ تصديق هرقل بنبوة النبي محمد ﷺ ولكنه خاف على ضياع ملكه .

٦ ـ تعدد مظاهر إكرام هرقل واحترامه للنبي ﷺ ورسالته .

---

(١) ينظر/ سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (١١/ ٣٥٦) وينظر/ فقه السيرة النبوية لمنير الغضبان (ص :٦٨٦)

التقويم

س١ : تمم العبارات الآتية بما يناسبها مما بين القوسين فيما يأتي :

(خوفاً – عامة – خاتماً – أهل مكة خاصة)

– بعث الله تعالى النبي ﷺ إلى الناس .....

– أقرَّ هرقل بنبوة النبي ﷺ ولم يؤمن .....على ملكه

– اتَّخذ النبي ﷺ ..... ووضعه على كتبه التي أرسلها إلى الموك والأمراء .

س٢ : علل ما يأتي :

كان الملوك والأمراء لا يقرؤون الكتاب إلا مختوماً .

.....

.....

اشتملت رسالة النبي ﷺ إلى هرقل على رقَّة ولطف وكرم في الألفاظ .

.....

.....

س٣ : من الشخصية المقصودة فيما يأتي :

١– بعثه النبي ﷺ بكتاب إلى هرقل ملك الروم .

(.....)

س٤ : عدد أهم صفات الصحابة ﷺ الذين اختارهم النبي ﷺ لحمل رسائله إلى الملوك والأمراء :

١- .....

٢- .....

٣- .....

س٥ : انسب العبارات الآتية إلى قائليها :

١- " إني قلت مقالتي آنفاً أختبر بها شدتكم على دينكم »

القائل (.....)

٢ - « فلا تختلفوا علي كما اختلف الحواريون على عيسى بن مريم »

القائل (.....)

س٦ : أجب عما يأتي :

١- اكتب ثلاثة من أسباب تأخر إرسال النبي ﷺ للكتب إلى الملوك والأمراء .

.....

.....

.....

٢- سجل بقلمك قيمة تربوية استفدتها من مبادرة الصحابة ﷺ إلى توصيل كتب النبي إلى الملوك .

.....

الوحدة الثانية

- تابع كتب الرسول ﷺ إلى الملوك والأمراء ٠
- غزوة مؤتة ٠
- تابع غزوة مؤتة ٠

الدرس السادس

تابع كتب الرسول ﷺ إلى الملوك والأمراء

تمهيد :

تتابعت كتب النبي ﷺ إلى الملوك والأمراء ، قياماً بواجب تبليغ دين الله تعالى إلى الناس كافةً ، والسعي المتواصل لإخراج الناس من ظلمات الكفر إلى نور الإسلام ، وكما كانت عناية النبي ﷺ كبيرة بإمبراطور الروم باعتباره من أكبر ملوك ذلك العصر ، فكذلك كانت عنايته ﷺ كبيرة بإمبراطور الفرس ؛ إذ إن الإمبراطورية الفارسية كانت لا تقل قوة واتساعاً عن دولة الروم ، وكانت دولة الفرس تدين بالمجوسية (عبادة النار) ، ومن ثم فقد حَرَص النبي ﷺ على دعوة هؤلاء الناس والأخذ بأيديهم من هذا الكفر الذي يدينون به إلى نور التوحيد الخالص لله عز وجل .

كتاب النبي ﷺ إلى كسرى ملك فارس :

أرسل النبي ﷺ عبد الله بن حذافة السهمي رضي الله عنه برسالته إلى كسرى [1] ملك فارس ، وقد اشتملت الرسالة على دعوة كسرى إلى الإيمان بالله تعالى ورسوله ﷺ ، وهذا نص الرسالة :

« بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس ، سلام على من اتبع الهدى ، وآمن بالله ورسوله ، وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله وأدعوك بدعاية الله فإني أنا رسول الله إلى الناس كافةً ، لينذر من كان حيّاً ويحق القول على الكافرين ، فأسلم تسلم ، فإن أبَيْتَ فإن إثم المجوس عليك »[2] .

(١) اسم كسرى : إبرويز بن هرمز .

(٢) حسنه الألباني في تخريج أحاديث فقه السيرة للشيخ الغزالي (ص:٣٦٠) وينظر السيرة النبوية والدعوة في العهد المدني/ د. أحمد أحمد علّوش (ص:٧١٥)

رد كسرى على كتاب النبي ﷺ وموقفه منه :

كان خطاب النبي ﷺ لكسرى مشتملًا على نفس الأمور التي اشتمل عليها كتابه ﷺ إلى هرقل ، لكن مع تغيير يسير في بعض الألفاظ المناسبة لكسرى وديانته ، وبمجرد أن تمت قراءة الكتاب على كسرى حتى اشتاط غضباً وغيظاً ، وكان من السذاجة بحيث إنه جعل كل اهتمامه بالشكليات ، دون اهتمام بالمعاني التي يشير إليها الخطاب ، فأمسك الخطاب ومزقه ، وقال في غطرسة وتكبر : « عبد حقير من رعيتي يكتب اسمه قبلي » وسبَّ الرسول ﷺ ، ثم أمر بعبد الله بن حذافة رضي الله عنه أن يخرج من مجلسه فأُخْرج . فلما وصلت هذه الكلمات إلى النبي ﷺ ، وعَلِمَ بتمزيقه للكتاب دعا عليه النبي ﷺ قائلًا : « مزَّق الله ملكه »[1] وبالفعل ففي غضون سنواتٍ قليلةٍ ، مزّق الله عز وجل ملك كسرى ، وامتلك المسلمون دولته ولم يكتف كسرى فارس بهذه الكلمات ولا بتقطيع الخطاب لا ، بل إنه من شدة تكبره ظن أنه قادر على إرسال بعض أتباعه للإتيان بالنبي ﷺ إليه ، وسجنه أو قتله ، فأرسل رسالة إلى عامله الفارسي على بلاد اليمن ، وكان اسمه « باذان » – وكانت اليمن خاضعة لحكم الفرس – وطلب منه أن يبعث رجلين من رجاله ليأتيا برسول الله ﷺ إلى المدائن عاصمة فارس .

وهذا التصرف يعطي تصوراً لنظرة كسرى للعرب ، ومدى احتقاره لهم لدرجة أنه يظن أن رجلين من رجاله – وليس جيشاً – يكفيان للإتيان برسول الله ﷺ إليه ، وقال لهما : أخبراه إن هو رفض فسيقتل ، وسيُهلِك كسرى قومَه ويخرب بلادَه .

من مظاهر تجاوزات كسرى وسوء أدبه مع النبي ﷺ :

١- تكبره وكراهيته وضع اسم النبي ﷺ في الرسالة قبل اسمه .

٢- تمزيقه كتاب النبي ﷺ وهذا العمل يدل على مدى استهانته بصاحب الكتاب ﷺ .

---

(١) ينظر/ السيرة النبوية لابن كثير (٣/ ٥٠٨) وينظر/ الرحيق المختوم (ص: ٢٩٠)

٣- تلفظه بألفاظ سيئة على النبي ﷺ ، مثل قوله : « عبد حقير من رعيتي يكتب اسمه قبلي »

٤ - طلبه من عامله على اليمن إرسال رجلين من عنده للإتيان بالنبي ﷺ إلى بلاد الفرس كي يعاقبه .

« باذان » حاكم اليمن يرسل رجلين للإتيان بالنبي ﷺ إلى كسرى :

أرسل « باذان » الرجلين إلى النبي ﷺ كي يحضراه ، فطلب الرسول ﷺ منهما في أدب جم أن ينتظرا إلى اليوم التالي وسيرد عليهما ، وجلسا في المدينة تلك الليلة ، وإذا بالوحي يتنزل على رسول الله ﷺ مخبراً له بنبأ عجيب ، أخبره أن هذا الحاكم الفارسي المتكبر «كسرى إبرويز» قتل في نفس الليلة [١] ، والعجيب أن قتله تم على يد ابنه « شيرويه بن إبرويز » ، وفي اليوم التالي أرسل الرسول ﷺ إلى الرسولين وجلس معهما وقال لهما : « إن ربي قد قتل ربكما الليلة ، قتله ابنه ، سلّطه الله عليه ، فقولا لصاحبكما :- يقصد باذان - « إن تُسلم أعطك ما تحت يدك ، وإن لا تفعل يُعن الله عليك » [٢]

ففزع الرسولان ، وقالا : هل تدري ما تقول ؟ إنا قد نقمنا عليك ما هو أيسر من ذلك ، أنكتب عنك بهذا ونخبر الملك « باذان » ؟ فقال ﷺ في منتهى الثقة : نعم أخبراه ذاك عني ، ليس هذا فحسب ، بل قال لهما في يقين : « وقولا له أيضاً إن ديني وسلطاني سيبلغ ما بلغ كسرى ، وينتهي إلى الخف والحافر ، وقولا له إن أسلمت - يخاطب باذان - أعطيتك ما تحت يديك ومَلَّكْتُك على قومك »

وعاملهما النبي ﷺ معاملةً كريمةً وحملهما بالهدايا ، وأعادهما إلى باذان مرة أخرى

---

(١) كانت هذه الحادثة في ليلة الثلاثاء (١٠) جمادى الآخرة سنة (٧) هـ

(٢) الخصائص الكبرى جلال الدين السيوطي (٢/ ١٨) الناشر : دار الكتب العلمية - بيروت

رد فعل «باذان» بعد بلوغه رسالة النبي ﷺ

رجع الرجلان إلى « باذان » الفارسي ملك اليمن ، وقالا له ما قاله الرسول ﷺ لهما ، وكان « باذان » رجلاً عاقلاً ؛ فلما سمع هذه الكلمات ، قال : والله ما هذا بكلام ملك ، وإني لأرى الرجل نبياً كما يقول ، وليكونن ما قال ، فلئن كان هذا حقاً فهو نبي مرسل ، وإن لم يكن الذي قاله فسنرى فيه رأينا .

وبعد أيام قليلة إذا بخطاب يأتي إلى « باذان » من الملك الجديد « شيرويه بن إبرويز » يقول له فيه : إنه قد قتل أباه إبرويز ؛ بسبب أنه قتل الكثير من أشراف فارس ، وكاد أن يودي بفارس إلى الهلاك .[1]

لقد ظهر أمام «باذان» – وكان ذا عقل وحكمة – صدق النبي ﷺ فيما أخبر به ، ومن ثم فقد تأثر بما حدث مما كان سبباً في إسلامه و انتشار الإسلام في اليمن بعد ذلك .

كتاب النبي ﷺ إلى النجاشي ملك الحبشة :

كما أرسل النبي ﷺ بكتبه إلى هرقل ملك الروم ، وكسرى ملك الفرس كذلك أرسل إلى النجاشي[2] ملك الحبشة ، وكان عمرو بن أمية الضمري رضي الله عنه هو حامل رسالة النبي ﷺ إلى النجاشي وكان نصها :

هذا كتاب من محمد النبي إلى النجاشي الأصحم عظيم الحبشة ، سلام على من اتبع الهدى ، وآمن بالله ورسوله ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، لم يتخذ صاحبةً ولا ولداً ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وأدعوك بدعاية الإسلام ، فإني أنا رسوله ، أسلم تسلم ، يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ، ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون ، فإن أبيت فإن عليك إثم النصارى من قومك »

(١) ينظر في السيرة النبوية – راغب السرجاني (٣٣/ ٩)
(٢) قيل إن اسم النجاشي هذا : أصحمة بن الأبجر .

ولما بَلَّغَ عمرو بن أمية الضمري ﷺ كتاب النبي ﷺ إلى النجاشي أخذه النجاشي ، ووضعه على عينه ، ونزل عن سريره على الأرض[1] : بالإضافة إلى ذلك فقد أكرم حامل الكتاب وقال له : إني أعلم والله أن عيسى بشّر به ، ولكن أعواني بالحبشة قليل ، فأنظرني حتى أُكَثِّرَ الأعوان وألين القلوب .[2]

كتاب النبي ﷺ إلى المقوقس ملك مصر :

كذلك أرسل النبي ﷺ حاطب بن أبي بلتعة ﷺ إلى المقوقس ملك مصر بكتاب يدعوه فيه إلى الإسلام ، جاء في هذا الكتاب :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد عبدِ الله ورسولِه إلى المقوقس عظيم القبط ، سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد ، فإني أدعوك بدعاية الإسلام أسلم تسلم ، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين ، فإن توليت فإن عليك إثم أهل القبط « يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ، ولا يتخذ بعضنا بعضًا أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون » .

ولقد دار حوار بين حاطب بن أبي بلتعة ﷺ والمقوقس يبيّن مدى فقه حاطب ﷺ وسرعة بديهته في الرد ، حيث قال له المقوقس : أخبرني عن صاحبك أليس هو نبي؟ ، قال حاطب : بلى هو رسول الله ، قال : فما له حيث كان هكذا لم يدع على قومه حيث أخرجوه من بلده إلى غيرها ، فقال له حاطب ﷺ : عيسى بن مريم أليس تشهد أنه رسول الله ، فما له حيث أخذه قومه فأرادوا صلبه ، ألّا يكون دعا عليهم بأن يهلكهم الله ﷻ حتى رفعه الله

(١) المنهج الحركي للسيرة النبوية (٣/ ٤٨)

(٢) تعارضت الأقوال حول إسلام النجاشي حيث وردت له كلمات تفيد أنه أسلم ، وكلمات تفيد عدم إسلامه كالتي ذكرناها أعلى الصفحة ، وقد جمع العلماء بين الرأيين بأن هذا النجاشي الذي كتب إليه ﷺ الكتاب وبعث به عمرو بن أمية الضمري ﷺ لم يسلم ، وأنه غير النجاشي الذي أسلم وأكرم الصحابة في هجرتهم إلى الحبشة وصلى عليه النبي ﷺ صلاة الغائب عند وفاته . (إذن هما رجلان ويجوز أن يكون النبي ﷺ قد كتب إلى الأول الذي أسلم ، وكتب إلى الثاني ولكنه لم يسلم) ينظر في السيرة الحلبية = إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون علي بن إبراهيم بن أحمد الحلبي ، (٣/ ٣٤٩) باختصار وتصرف .

إليه في سماء الدنيا ، قال : أحسنت : أنت حكيم جاء من عند حكيم »[1] وقال المقوقس كذلك : إني قد نظرت في أمر هذا النبي ، فوجدته لا يأمر بمزهودٍ فيه ولا ينهى عن مرغوب فيه ، ولم أجده بالساحر الضال ، ولا الكاهن الكاذب . . . . »

من مظاهر تعظيم المقوقس لكتاب النبي ﷺ وموقفه منه :

١ـ أخذ كتاب النبي ﷺ فجعله في حُقٍّ من عاج .

٢ـ ختم عليه ودفع به إلى جاريةٍ له .

٣ـ تعظيمه لاسم النبي ﷺ في الرد عليه حيث دعا كاتباً له يكتب بالعربية ، فكتب إلى رسول الله ﷺ كتاباً جاء فيه : « بسم الله الرحمن الرحيم لمحمد بن عبد الله من المقوقس عظيم القبط ، سلام عليك ، أما بعد ، فقد قرأت كتابك وفهمت ما ذكرت فيه وما تدعو إليه ، وقد علمت أن نبيّاً بقي ، وكنت أظن أنه يخرج بالشام ، وقد أكرمتُ رسولك ، وبعثت إليك بجاريتين ، لهما مكان في القبط عظيم ، وبكسوةٍ ، وأهديت إليك بغلة لتركبها ، والسلام عليك » .

٤ – إكرام حامل رسالة النبي ﷺ إليه « حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه» .

٥ – إرسال الهدايا إلى النبي ﷺ والتي كان منها السيدة مارية القبطية التي تزوجها النبي ﷺ وولدت له ابنه إبراهيم الذي مات طفلاً صغيراً .

(١) دلائل النبوة للبيهقي (٤/ ٣٩٦)

ما يستفاد من الدرس :

١ – الدعوة إلى الله تعالى بوسائلها الممكنة ، واختيار أفضل الوسائل لذلك .

٢ – استخدام أيسر العبارات في الدعوة إلى الله تعالى وخاصةً إذا كان المخاطب غير عربي .

٣ – سوء أدب كسرى في الرد على رسالة النبي ﷺ ودعاء النبي ﷺ عليه بتمزيق ملكه .

٤ – احترام النجاشي لحامل رسالة النبي ﷺ دليل على تقديره لصاحب الرسالة .

٥ – حسن استقبال المقوقس ملك مصر لرسالة النبي ﷺ وردُّه بالهدايا مع حامل الرسالة .

٦ – معرفة توجّهات الملوك تجاه الإسلام : فمنهم من كان وديعاً ، ومنهم من كان عنيفاً .

التقويم

س١ : ضع علامة (√) مقابل العبارة الصحيحة وعلامة (X) مقابل العبارة غير الصحيحة فيما يأتي :

١- كانت دولة الفرس تدين بالمجوسية . ( )

٢- استقبال كسرى ملك الفرس لرسالة النبي ﷺ باحترام وتقدير . ( )

٣- أهدى المقوقس ملك مصر للنبي ﷺ جاريتين من بينهما السيدة مارية . ( )

٤- تحقق نبوءة النبي ﷺ في قتل كسرى كانت سبباً في إسلام باذان . ( )

س٢ : أجب عما يأتي :

-عدّد بعض تجاوزات كسرى بعد قراءته رسالة النبي ﷺ :

١-.....

٢-.....

٣-.....

س٣ : ضع الرقم المناسب من المجموعة (أ) أمام ما يناسبه من المجموعة (ب) في الجدول الآتي :

الرقم	المجموعة (أ)	الرقم	المجموعة (ب)
١	الذي حمل رسالة النبي ﷺ إلى هرقل		حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه .
٢	الذي حمل رسالة النبي ﷺ إلى كسرى		دحية بن خليفة الكلبي رضي الله عنه .
٣	الذي حمل رسالة النبي ﷺ إلى النجاشي		عبدالله بن حذافة السهمي رضي الله عنه .
٤	الذي حمل رسالة النبي ﷺ إلى المقوقس		سعد بن معاذ رضي الله عنه .
			عمرو بن أمية الضمري رضي الله عنه .

س٤ : انسب العبارات الآتية إلى قائليها :

١ – « أنت حكيم جاء من عند حكيم » القائل (.....)

٢ – « إني أعلم والله أن عيسى بشّر به ، ولكن أعواني بالحبشة قليل »

القائل (.....)

س٥ : سجل بقلمك بعض مظاهر تكريم المقوقس لكتاب النبي ﷺ :

- .....

- .....

- .....

الدرس السابع

غزوة مؤتة

تمهيد :

رأينا كيف اختلفت ردود الملوك على كتب النبي ﷺ فكانوا :

١- إما ملك صدَق فأسلم مثل : النجاشي ملك الحبشة .

٢- أو ملك صدَق ولكنه لم يسلم خوفًا على ملكه مثل : هرقل ملك الروم ، والمقوقس حاكم مصر .

٣- أو مكذب أحمق مزّق الكتاب وسب النبي ﷺ مثل : كسرى ملك الفرس .

ولكن لم يتعرض أحد من الملوك والأمراء لحامل الرسالة بالقتل ، إلا ما كان من شرحبيل بن عمر الغساني ذلك الأمير العربي الذي قتل الحارث بن عمير الأزدي حامل كتاب النبي ﷺ إلى حاكم بصرى بالشام ، وبالرغم من عِظَم جريمته ، لم يظهر ندماً أو اعتذاراً عن جريمته تلك[١] . بل إنه أخذ يهدد المسلمين ويتوعدهم قائلاً : من ينزع ملكي مني ؟ أنا سائر إليه – يقصد إلى النبي ﷺ « فكان هذا التهديد بالمسير إلى المسلمين يقتضي ردّاً على مستوى التحدي من رسول الله ﷺ ، فبادره النبي ﷺ بتجهيز الجيش والذهاب إليه قبل أن يأتي هو إلى المدينة [٢] .

تاريخ غزوة مؤتة وأحداثها :

كانت غزوة مؤتة في جمادى الأولى سنة ثمانٍ من الهجرة ، حيث غضب رسول الله ﷺ ، وتألم لقتل صاحبه وحامل رسالته – الحارث بن عمير الأزدي رضي الله عنه – فحث النبي ﷺ الصحابة رضي الله عنهم على الخروج ، وجهّز جيشاً عدده ثلاثة آلاف مقاتل ، ولعل ذلك الجيش كان أكبر جيوش المسلمين عدداً إلى ذلك الوقت .

---

(١) القول المبين في سيرة سيد المرسلين محمد الطيب النجار (ص :٣٣٥) .

(٢) فقه السيرة النبوية/ منير الغضبان (ص : ٥٤٤) .

أسباب غزوة مؤتة[1] :

١ـ تأديب شرحبيل بن عمرو الغساني وأنصاره على قتل الحارث بن عمير الأزدي رضي الله عنه .

٢ ـ توسيع رقعة الدولة الإسلامية وإخضاع الدويلات العربية النصرانية الموالية للروم .

٣ ـ تحرك المسلمين قبل الروم إلى بلاد الشام لمنعهم من مهاجمة الدولة الإسلامية[2] .

النبي ﷺ يوصي الجيش ويعيّن قادته :

كان من حكمة النبي ﷺ وقد أرسل الجيش الإسلامي إلى ذلك العدو الذي يمتلك جيشاً كبيراً وسلاحاً وفيراً ، أن يعيّن عدَّة قادة للجيش تحسباً لأي طارئ يحدث مع قائد الجيش من قتل أو إصابة في تلك الأماكن البعيدة ، وحسماً لمادة النزاع وتشتت الكلمة ، فجعل

١- القيادة لزيد بن حارثة رضي الله عنه .

٢- فإن قُتل فالقيادة لجعفر بن أبي طالب رضي الله عنه .

٣- فإن قُتل فعبد الله بن رواحة الأنصاري رضي الله عنه .

٤- فإن قُتل فليرتض المسلمون رجلًا يكون أميرًا عليهم .

وخرج في الجيش خالد بن الوليد رضي الله عنه جنديًا مثل سائر الجنود ، وخرج الناس يودعون الجيش ، ومشى النبي ﷺ مع الجيش حتى ظاهر المدينة .

من وصايا النبي ﷺ للقادة والجيش :

أخذ النبي ﷺ يوصي القادة والجيش بوصايا عظيمة ، أصبح العالم يفتقدها الآن في الحروب والمنازعات وكان من بين هذه الوصايا :

١- ألا يقتلوا النساء ، ولا الشيوخ ، ولا الصبيان .

٢- ألا يهدموا المنازل .

---

(١) الغالب أنه إذا أطلق لفظ السرية قصد بذلك جماعة المقاتلين التي تخرج لأمر ما ، يكون عليها أحد الصحابة ممن يولهم النبي ﷺ ،فإذا كان هو قائدها ﷺ و خرج مع المقاتلين ، صارت غزوة ، وهذا الذي عليه الإصطلاح ، ولم يشذ من ذلك إلا غزوة مؤتة وغزوة ذات السلاسل ، فقد أطلق عليها اسم الغزوة مع كون النبي ﷺ لم يكن فيهما لأهميتهما وعظمهما- وقيل : لكونه ﷺ رأى مؤتة مع كونه بالمدينة ، وقيل سميت غزوة وإن لم يحضرها رسول الله ﷺ لكثرة المحاربين فيها ، حيث بلغوا ثلاثة آلاف مما يخالف عدد المحاربين في السرايا .

(٢) السيرة النبوية الصحيحة محاولة لتطبيق قواعد المحدثين في نقد روايات السيرة النبوية د . أكرم ضياءالعمري (٢/ ٤٦٧)

٣- ألا يقطعوا الأشجار [١] .

وتلك الوصايا تبين عظمة الإسلام واحترامه لأرواح الأبرياء غير المحاربين من البشر ، وكذلك المحافظة على ممتلكات الناس وأموالهم .

تحرك الجيش الإسلامي إلى مؤتة :

تحرك الجيش الإسلامي حتى وصل إلى (معان) [٢] من أرض الشام ، ولكنّ أنباء حركتهم وصلت إلى الأعداء قبل وصول المسلمين إليهم ، وكانت تلك القبائل التي ذهب المسلمون لتأديبها موالية لملك الروم وخاضعة لحكمه ، ومن ثم كان على قائد الروم أن يتحرك لمساندتهم والقضاء على تلك الدولة الإسلامية الناشئة التي أخذت تهدد ملكه ، فأرسل ملك الروم جيشاً لمناصرة تلك القبائل على المسلمين .

نزلت قوات الروم بقيادة هرقل وكانوا حوالي مئة ألف مقاتل ، وانضم إليهم من قبائل العرب النصرانية مثل : « لخم وجذام والقين وبهراء » مئة ألف أخرى ، فأصبحت قوة جيش الأعداء حوالي مئتي ألف في مقابل ثلاثة آلاف مقاتل مسلم ، وحشد الأعداء قواتهم في بلدة ، (مآب)[٣] من أرض البلقاء بالشام .

غـزوة مـؤتـة

(١) ينظر/ مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول ﷺ أحمد إبراهيم الشريف (ص : ٤٠٤) دار الفكر العربي .
(٢) معان : مدينة في طرف بادية الشام تلقاء الحجاز من نواحي البلقاء .
(٣) مآب : مدينة في طرف الشام من نواحي البلقاء .

المسلمون يتشاورون قبل بداية القتال :

الإسلام دين يأمر بالشورى في كل الأوقات ، وخاصةً في مثل هذه اللحظات الفارقة في تاريخ الأمم والجيوش ، فلما عَلِمَ المسلمون بأمر جموع الروم وأتباعهم من قبائل النصارى العرب ، وكانت تلك الجموع متفوقة على قوات المسلمين تفوقاً عظيماً ، أخذوا يتشاورون في مواجهة هذا الموقف العصيب ، حتى قيل : إنهم أقاموا في ذلك المحل ليلتين ينظرون في أمرهم .

فرأى بعضهم أن يكتبوا إلى النبي ﷺ يخبرونه بالموقف الراهن ويتلقّوا أوامره النهائية ، فإما أن يمدهم برجال ، أو يأمرهم بأمر فيمضوا إليه ، ولكنّ أكثرهم رأى أن يمضوا إلى هدفهم مهما تكن النتائج .

وكانت كلمات عبد الله بن رواحة رضي الله عنه بمثابة الشعلة التي أوقدت الحماسة في نفوس المسلمين ، وشجعتهم على الإقدام والقتال لا يبالون بالموت ، حيث قال : (يا قوم ! والله إنّ التي تكرهون للتي خرجتم تطلبون : الشهادة ، وما نقاتل الناس بعدد ولا قوّة ولا كثرة ، ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به ؛ فانطلقوا فإنما هي إحدى الحسنيين : إما ظهور وإما شهادة » قال الناس : صدق ابن رواحة .[1]

بداية المواجهة والقتال :

تحرّك المسلمون نحو جيوش الروم وحلفائهم من القبائل العربية النصرانية ، فحدثت أول مواجهة في قرية « مشارف»[2] . ولكنّ المسلمين رأوا أن منطقة قرية مؤتة أنسب لهم في القتال ؛ وذلك لوجود الموانع الطبيعية التي يستطيعون التحصّن بها ، نظراً لقلة قوتهم بالنسبة إلى الأعداء .

---

(١) الرسول القائد (ص :٣٠٧)

(٢) مشارف : قرية قرب حوران منها بصرى من الشام ثم من أعمال دمشق .

استشهاد القادة الثلاثة الذين عيّنهم النبي ﷺ :

بدأ هجوم المسلمين باندفاع :

١- زيد بن حارثة رضي الله عنه بالراية إلى صفوف العدو ، فحارب بقوة وشجاعة وإقدام حتى مزقته رماح العدو .

٢- فأخذ الراية جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه وقاتل على فَرس أشقر ثم نزل عنه وعقره ، وهو أول رجل من المسلمين عقر فرسه ، وأول فرس عُقِرَ في سبيل الله ، عقره خوفًا أن يأخذه الكفار فيقاتلوا عليه المسلمين ، ومن ثم لم ينكر عليه أحد من الصحابة رضي الله عنهم ذلك العمل . وأخذ يقول :

يـا حبذا الجنة واقترابـها طيبةً وبـارد شرابـها

والروم روم قد دنا عذابها عليَّ إذ لاقيتها ضرابها

ثم قاتل رضي الله عنه فقطعت يمينه ، فأخذ الراية بيساره فقطعت يساره ، فاحتضن الراية حتى قتل رضي الله عنه .

وقد أخبر النبي ﷺ أن الله تعالى عوَّضه عن يديه جناحين يطيرُ بهما في الجنة[1] فلهذا يُقال له : ذو الجناحين ، ويقال له الطيارُ ، وقد شَهِدَ له رسول الله ﷺ بالجنة والشهادة ، فرضي الله عنه .

٣- ثم أخذ الراية عبد الله بن رواحة رضي الله عنه وتقدم بها وهو على فرسه وجعل يقول :

أقسمت يـا نفس لتَنْزِلِنَّه لتنزلـنَّ أو لتكرهنـه

إن أَجلب الناس وشدوا الرنَّة مالي أراك تكرهين الجنة

وقال أيضاً :

يا نفس إلا تقتلي تموتي هذا حمام الموت قد صليت

(١) ورد في هذا الأمر أحاديث كثيرة منها : عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال مرّ بي جعفر الليلة في ملأ من الملائكة وهو مخضب الجناحين بالدم أخرجه الترمذي والحاكم بإسناد على شرط مسلم و أخرج أيضا هو و الطبراني عن ابن عباس مرفوعاً دخلت البارحة الجنة فرأيت فيها جعفراً يطير مع الملائكة وفي طريق أخرى عنه أن جعفراً يطير مع جبريل وميكائيل له جناحان عوضه الله من يديه وإسناد هذه جيد وطريق أبي هريرة في الثانية قوي إسناده على شرط مسلم ، ينظر : فتح الباري/ ابن حجر(٧/ ٧٦)

وما تمنيت فقد أعطيت إن تفعلي فعلهما هديت

يعنى صاحبيه زيداً وجعفراً رضي الله عنهما .[1]

ثم نزل عن فرسه وقاتل حتى قُتِل ، وبذلك استُشهد القادة الثلاثة رضي الله عنهم الذين عيّنهم النبي ﷺ ، وحينئذ اختلط المسلمون والمشركون ، وأراد بعض المسلمين الانهزام فجعل عقبةُ بن عامر رضي الله عنه يقول : يا قوم يُقتل الإنسان مقبلاً أحسن من أن يُقتل مدبراً » .

رجال يظهرون وقت الشدة :

في هذا الوقت العصيب الذي أصبح الجيش فيه بدون قيادة ، تقدم ثابت بن أقرم رضي الله عنه حاملاً للراية ، وهو يقول : يا معشر المسلمين اصطلحوا على رجل منكم ، فقالوا : أنت . فقال : ما أنا بفاعل ، ويقال إن ثابت بن أقرم رضي الله عنه دفعها إلى خالد بن الوليد رضي الله عنه ، وقال لخالد : أنت أعلم بالقتال مني فأخذها خالد بن الوليد رضي الله عنه .

إنَّ تولي القيادة في مثل هذا الوقت الذي استشهد فيه من سبقه من القادة عمل عظيم يدل على التضحية والثبات وعدم الرهبة من الموت ، لقد ثبت خالد رضي الله عنه ثباتاً عظيماً حتى قال رضي الله عنه : اندقت في يدي يوم مؤتة تسعة أسياف ، وما ثبت في يدي إلا صفيحة يمانية « ثم انحاز كل من الفريقين عن الآخر من غير هزيمة ، وكانت مدة القتال سبعة أيام .[2]

لقد كان الوحي يتنزل على رسول الله يخبره بأحداث المعركة ، فعن أنس بن مالك ، قال : قال النبي ﷺ : « أخذ الراية زيد فأصيب ، ثم أخذها جعفر فأصيب ، ثم أخذها عبد الله بن رواحة فأصيب – وإن عيني رسول الله ﷺ لتذرفان – ثم أخذها خالد بن الوليد من غير إمرةٍ ففتح له »[3] .

---

(١) الاكتفاء بما تضمنته من مغازي رسول الله ﷺ والثلاثة الخلفاء/ سليمان بن موسى بن سالم بن حسان الكلاعي (١/ ٤٩٤) .
(٢) السيرة الحلبية= إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون علي بن إبراهيم بن أحمد الحلبي (٣/ ٩٧) وينظر الرسول القائد(ص :٨٠٣)
(٣) رواه البخاري/ باب الرجل ينعى إلى أهل الميت بنفسه/ رقم ١٢٤٦ (٢/ ٧٢) .

ما يستفاد من الدرس :

١ – تأديب المتطاولين على سلطان الدولة المسلمة أمر واجب على القيادة الربانية الراشدة .

٢ – وصية النبي ﷺ للجيش تدل على مدى احترام الإسلام لأرواح الأبرياء والممتلكات .

٣ – مبدأ الشورى مبدأ إسلامي ثابت في وقت السلم والحرب .

٤ – ثبات الصحابة رضي الله عنهم في مواجهة قوات الأعداء دليل على عمق الإيمان في قلوبهم .

٥ – إقدام القادة الذين عيّنهم النبي ﷺ وحرصهم على الشهادة في سبيل الله .

٦ – اختيار الصحابة لخالد بن الوليد رضي الله عنه دليل على ثقتهم في قدراته القيادية .

التقويم

س١ : اختر المكمل الصحيح مما بين القوسين بوضع خط تحته فيما يأتي :

١- وقعت غزوة مؤتة في جمادى الأولى سنة : (٧ هـ - ٨ هـ - ٩ هـ)

٢- حشد الروم قواتهم في قرية : (معان - مآب - بُصرى)

٣- بلغت قوات الأعداء في غزوة مؤتة : (مئة ألف - مئتي ألف - خمسين ألف)

٤- بلغ عدد جيش المسلمين في غزوة مؤتة :

(ثلاثة آلاف - أربعة آلاف - خمسة آلاف)

س٢ : أجب عما يأتي :-

١- اكتب أهم أسباب غزوة مؤتة :

. . . . . .

. . . . . .

. . . . . .

٢- بم أوصى النبي ﷺ قادة غزوة مؤتة قبل الذهاب إليها ؟

. . . . . .

٣- لماذا اختار المسلمون قرية مؤتة لقتال الروم فيها ؟

. . . . . .

س٣ : صوِّب ما تحته خط فيما يأتي :

١- ثابت بن أقرم رضي الله عنه هو الذي تولَّى القيادة في غزوة مؤتة بعد استشهاد القادة الثلاثة .

[.....]

٢- علي بن أبي طالب رضي الله عنه أُطلق عليه بعد استشهاده في غزوة مؤتة « الطَّيار» .

[.....]

س٤ : انسب العبارات الآتية إلى قائليها :

١- «اندقت في يدي يوم مؤتة تسعة أسياف »

القائل (.....)

٢ -« يا قوم يُقتل الإنسان مقبلاً أحسن من أن يُقتل مدبراً »

القائل (.....)

٣- « فانطلقوا فإنما هي إحدى الحسنيين : إما ظهور وإما شهادة »

القائل (.....)

س٥ : من الشخصية المقصودة فيما يأتي :

١-حمل رسالة النبي ﷺ إلى حاكم بُصرى بالشام فقتله .

(.....)

٢- عقر فرسه في غزوة مؤتة حتى لا يأخذه المشركون .

(.....)

الدرس الثامن

تابع : غزوة مؤتة

تمهيد :

رأينا كيف ثبت القادة الثلاثة الذين عيّنهم النبي ﷺ لقيادة الجيش « زيد بن حارثة – جعفر بن أبي طالب – عبد الله بن رواحة » رضي الله عنهم في مواجهة الأعداء ، حتى نالوا شرف الشهادة في سبيل الله تعالى ، فكانوا مثلاً عظيماً من أمثلة البطولة والتضحية والإيمان ، وأصبحوا قدوةً كريمةً في الشجاعة والثبات ، وبعد استشهاد القادة الثلاثة رضي الله عنهم اتفق الناس على تولية خالد بن الوليد رضي الله عنه ، فأخذ الراية وتولى القيادة في ذلك الموقف العصيب الذي قد تخور فيه عزائم الأبطال ، فثبت ثباتًا عظيمًا ، حتى قال حاكيًا عن نفسه رضي الله عنه : اندقت في يدي يوم مؤتة تسعة أسياف .»[1]

خطة خالد بن الوليد رضي الله عنه لإنقاذ الجيش الإسلامي :

كان خالد بن الوليد رضي الله عنه قائدًا ماهرًا ، فنظم الجيش وضم صفوفه ، ثم قاتل به في غير اندفاع وفي ذات الوقت في غير تراجع ، وكان قدوةً للجيش في الثبات والشجاعة والإقدام ، وصمد أمام جيش الرومان طول النهار ، في أول يوم من قيادته ، وكان يشعر بمسيس الحاجة إلى مكيدة حربية ، تلقي الرعب في قلوب الرومان ؛ حتى ينجح في إنقاذ الجيش الإسلامي من موت محقق – إذا أصر على مواصلة القتال – ، ولكن كيف يتم ذلك من غير أن يقوم الرومان بحركات المطاردة ؟[2]

إنه لابد من خطة محكمة حتى لا يشعر الأعداء أن جيش المسلمين سوف ينسحب من ساحة المعركة ؛ لأن أخطر وقت على الجيش وقت الانسحاب والتراجع ؛ حيث يحدث اضطراب يمكِّن الأعداء من ظهر الجيش فيقتلون ويأسرون ، ومن ثم كانت خطة خالد رضي الله عنه

---

(١) السيرة الحلبية= إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون علي بن إبراهيم بن أحمد الحلبي (٣/ ٩٧) وينظر/ الرسول القائد (ص :٣٠٨)

(٢) الرحيق المختوم(ص :٣٣٠) .

- حتى يتمكن من الانسحاب بالجيش الإسلامي دون أن يشعر الأعداء- تتضمن الآتي :

١ - الثبات في القتال والمواجهة والاحتفاظ بتوازن المعركة حتى جاء الليل .

٢ - تعديل الجيش في الصباح تعديلاً جديداً ، فجعل الميمنة ميسرة وجعل الميسرة ميمنة ، وجعل المقدمة ساقةً ، والساقة مقدمةً .

٣ - وضع في خلف الجيش عدداً من الرجال بالجمال والخيول يحدثون جلبة شديدة ويثيرون الغبار كي يتوهم العدو أن مدداً قد جاء للمسلمين .

٤ - ألّف مؤخرةً قويةً لحماية الانسحاب .

كان خالد رضي الله عنه يقف بالجيش الإسلامي في وادٍ واسع ينتهي بمضيق جهة الرومان ، فلما جاء الرومان من المضيق ، ورأوا تنظيم المسلمين أنكروا ما كانوا يعرفون من راياتهم وهيأتهم ، حيث أصبح الأعداء يرون وجوهاً غير الوجوه ، ويرون خلف الجيش الإسلامي غباراً ينبئ عن مدد جديد سوف يدخل المعركة .

ومن ثم وقع في ذهن الأعداء هذا التفكير : إذا كان المسلمون قد فعلوا ما فعلوا من الثبات والتضحية بالأمس مع قلة عددهم ؛ فكيف هم اليوم وقد جاءهم المدد وازداد العدد .

لقد أصيبوا بالرعب ، فانكشفوا منهزمين ، وحين تراجعهم اضطربوا في المضيق وأدى تزاحمهم إلى هلاك كثير منهم وقتل المسلمون منهم عدداً كبيراً .

لقد انتشرت مؤخرة الجيش الإسلامي في جبهة واسعة وأحدثت ضجة عالية لإيهام العدو بقدوم إمدادات جديدة للمسلمين ، ولحرمان العدو من معرفة انسحاب قوات المسلمين حتى لا يطاردها العدو فيكبدها خسائرَ فادحةً ، إذ لو لم تتم حركة الانسحاب بذكاء فيمكن أن ينقلب الانسحاب إلى هزيمة ساحقة .[١]

(١) الرسول القائد (٣٠٨)

لقد أحجم الروم وأنصارهم من القبائل العربية النصرانية عن الهجوم والمطاردة ، وكذلك لم يهاجمهم خالد رضي الله عنه ، فلما اطمأن من نجاح خطته تراجع بقوته ، وبَعُدَ بها حتى صار في مأمن ، ثم عاد بالجيش إلى المدينة ، بعدما استشهد من المسلمين اثنا عشر شهيداً بما فيهم القواد الثلاثة رضي الله عنهم [1] .

رجوع الجيش واستقبال النبي ﷺ والناس له في المدينة :

يبدو أنه كانت هناك مجموعة من الجيش الإسلامي أفزعتهم كثرة العدد ، ففروا ، وقد يجوز الفرار في مثل هذه الحالة ، حيث كان الأعداء أضعاف أضعاف جيش المسلمين ، إذ إن المسلمين كانوا ثلاثة آلاف وكان العدو مئتي ألف ، فلما وصلت هذه المجموعة التي فرت إلى المدينة تلقاهم الناس والصبيان بقولهم « يا فُرَّار ، فررتم في سبيل الله ، فلما رجع باقي الجيش بعد هذه المحنة العظيمة التي فاجأته في مؤتة ، واقترب من المدينة خرج النبي ﷺ بنفسه يتلقاهم ويخفف عنهم عظم المصاب ، وهذا يبين لنا مدى حكمة النبي ﷺ في مواساة أصحابه ، بل ولم يترك الناس والصبيان يستمرون في تأنيب الذين فروا بقولهم : يا فرار « وإن كان في الموقف ما يستوقف النظر وهو عظمة التربية التي وصل إليها أفراد المجتمع كباراً وصغاراً ، حتى أصبحوا يرون الكرامة في الموت في سبيل الله وليس في الحياة مع الفرار من ساحة المعركة ، ولكن النبي الكريم ﷺ لا يترك هذه الكلمات دون توجيه وتخفيف لعظم المصاب قائلاً : ليسوا بالفرار ، ولكنهم الكُرَّار إن شاء الله تعالى .[2]

مواساة النبي ﷺ لآل جعفر رضي الله عنه :

كان النبي ﷺ يحب جعفر بن عمه أبي طالب حبّاً عظيماً ، فلما بلغه خبر استشهاده هو والقادة الذين معه بلغ الأسى والحزن من نفس رسول الله ﷺ مبلغاً كبيراً ، وكان المصاب شديدًا على زوجة جعفر رضي الله عنه وأطفاله ، لذا لما أصيب جعفر رضي الله عنه دخل رسول الله ﷺ على أسماء بنت عميس زوجته رضي الله عنها ، وأخذ يواسيهم فعن أسماء بنت عميس رضي الله عنها قالت :

---

(١) مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول ﷺ – أحمد إبراهيم الشريف (ص : ٤٠٦) الناشر : دار الفكر العربي

(٢) رواه أبو داوود في السنن

« دخل رسول الله ﷺ يوم أصيب جعفر وأصحابه فقال : « ائتني ببني جعفر» ، فأتيته بهم ، فضمهم وذرفت عيناه بالدمع ، قالت أسماء في لهفة وقد أدركت ما أصابه : يا رسول الله بأبي أنت وأمي ما يبكيك ؟ أبلغك عن جعفر وأصحابه شيء ؟ قال : « نعم ، أصيبوا هذا اليوم » ، وفاضت عيناه بالدمع . قالت : فقمت أصيح . واجتمع علي النساء ، وجعل رسول الله ﷺ يقول لي : « يا أسماء لا تقولي هجرًا ولا تضربي خدًّا » . ثم دعا النبي ﷺ لأبناء جعفر رضي الله عنه قائلًا : « اللهم اخْلُفْ جعفراً في أهله » [1] ثم خرج رسول الله ﷺ إلى أهله فقال : «لا تغفلوا آل جعفر من أن تصنعوا لهم طعامًا ، فإنهم قد شغلوا بأمر صاحبهم »[2]

لقد أصيب المسلمون في هذه الغزوة إصابةً فادحةً ، ولكنهم في ذات الوقت استفادوا إفادةً عظيمةً ، حيث كانت معركة « مؤتة » معركةً استطلاعيةً أفادت المسلمين كثيراً في معرفة خواص قوات الروم وأساليب قتالها ، وخواص حلفائها من القبائل النصرانية الموالية للروم وأساليب قتالهم وقوتهم ، فأفادوا من هذه المعلومات في قتالهم بعد ذلك ضد الروم .

ولا تعدّ خسائر المسلمين الطفيفة شيئاً يذكر بجانب الفائدة العسكرية التي أفادوها من الاطلاع على خواص قوات الروم ، وحلفائها وتنظيمها وتسليحها وأساليب قتالها ، مما كان له أثره في المعارك التي خاضها المسلمون ضدهم فيما بعد .

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده/ تحقيق شعيب الأرنؤوط وقال : إسناده صحيح على شرط مسلم- ينظر مسند أحمد (٣/ ٢٧٩)
(٢) حديث أسماء هنا أخرجه ابن إسحاق ، وعنه الإمام أحمد في «المسند» (٦/ ٣٧٠) ، وللحديث شواهد يحسن بها ويصح .

ما يستفاد من الدرس :

١ – حرص الصحابة على اختيار الرجل المناسب للقيادة في الوقت المناسب .

٢ – بيان قدرة القيادة المسلمة على التخطيط والمكيدة بالعدو .

٣ – إنقاذ الجيش من مواجهة غير متكافئة يعد نصراً وفتحاً كما أخبر النبي ﷺ بذلك .

٤ – حزن النبي ﷺ على الصحابة الذين استشهدوا ومواساته لأهل الشهداء .

٥ –عظمة التربية التي تربى عليها أبناء الصحابة حتى كان الاستشهاد عندهم أفضل من الرجوع .

٦ –استفادة المسلمين من هذه المعركة حيث تعرفوا على خصائص قوات الروم القتالية .

التقويم

س١ : ضع الرقم المناسب من المجموعة (أ) أمام ما يناسبه من المجموعة (ب) في الجدول الآتي :

الرقم	المجموعة (أ)	الرقم	المجموعة (ب)
١	استشهد من المسلمين في غزوة مؤتة :		خصائص الروم القتالية .
٢	القيادة المسلمة قادرة على :		اثنا عشر شهيدًا .
٣	تعرف المسلمون في غزوة مؤتة على :		الرعب في قلوب الرومان .
٤	أثارت خطة خالد بن الوليد :		عشرون شهيداً .
			التخطيط والمكيدة بالعدو .

س٢ : أجب عما يأتي :

١- لماذا وضع خالد بن الوليد خلف الجيش عدداً من الرجال بالجمال والخيول ؟

. . . . . .

٢- بم أمر النبي ﷺ الناس تجاه آل جعفر بن أبي طالب بعد استشهاده ؟

. . . . . .

٣- علل : أمر خالد بن الوليد بعمل مؤخرة قوية للجيش .

. . . . . .

س٣ : تمم العبارات الآتية بما يناسبها مما بين القوسين فيما يأتي :

(خيبر – استطلاعيةً – استفادوا – النصرانية – مؤتة)

-لقد أصيب المسلمون في غزوة ..... إصابةً فادحةً ، ولكنهم في ذات الوقت ..... إفادةً عظيمةً ، حيث كانت هذه الغزوة معركةً ..... أفادت المسلمين كثيراً في معرفة خواص قوات الروم وأساليب قتالها ، وخواص حلفائها من القبائل ..... الموالية للروم وأساليب قتالهم وقوتهم .

س٤ : انسب العبارة الآتية إلى قائلها :

١- « اللهم اخْلُفْ جعفراً في أهله »

القائل (.....)

س٥ : اكتب درسين استفدتهما من غزوة مؤتة :

.....

.....

الوحدة الثالثة

فتح مكة

تابع فتح مكة

غزوة حنين

غزوة تبوك

الدرس التاسع

فتح مكة

تمهيد :

درسنا موضوع « صلح الحديبية » الذي حدث في السنة السادسة للهجرة ، وعلمنا أن من الشروط التي تم الاتفاق عليها في الصلح بين النبي ﷺ وقريش : من أراد أن يدخل في عهد النبي ﷺ من غير قريش دخل فيه ، ومن أراد أن يدخل في عهد قريش دخل فيه . فدخلت قبيلة خُزاعة في عهد رسول الله ﷺ ، ودخل بنو بكر في عهد قريش[1] وعلى هذا العهد ينبغي أن لا تعتدي قريش ولا حلفاؤها على قبيلة خزاعة ؛ لأنها في حلف رسول الله ﷺ .

أسباب فتح مكة

نقض قريش العهد مع النبي ﷺ : كانت الحروب والعداوات بين خزاعة – التي دخلت في عهد رسول الله ﷺ – وبين بني بكر – الذين دخلوا في عهد قريش – قائمة منذ أزمان قديمة ، وبحدوث صلح الحديبية صارت كل قبيلة في أمن من الأخرى ، ولكن حصل غدر من بني بكر ، فخرج جماعة منهم في شهر شعبان للسنة الثامنة من الهجرة ، فأغاروا على قبيلة خزاعة ليلاً ، وهم على ماء يقال له « الوتير» ، فأصابوا منهم رجالاً ، وتناوشوا واقتتلوا ، وأعانت قريش بني بكر بالسلاح ، بل وقاتل رجال منهم مع بني بكر مستترين بظلمة الليل ، حتى حازوا خزاعة إلى الحرم ، وبذلك تكون قريش قد نقضت العهد المتفق عليه في صلح الحديبية ، فلما حدث ذلك انطلق عمرو بن سالم الخزاعي إلى رسول الله ﷺ مستغيثاً ومستنجدًا حتى قدم على رسول الله ﷺ المدينة ، فوقف عليه وهو جالس في المسجد بين أصحابه وقال :

---

(١) الروض الأنف : ٧/ ٥٠

يـا رب إني نـــاشد محمـداً حلـــف أبينا وأبيه الأتلـدا
فانصر رسول الله نصراً أعتدا وادعو عباد الله يأتوا مـــددا
إن قريشـاً أخلفــوك الموعدا ونقضوا ميثاقـــك المؤكدا
هـــم بيَّتونـا بالوتير هجـــدا وقتَّلونـــا ركعّـاً . . . وسجدّاً

فقال رسول الله ﷺ : « نصرت يا عمرو بن سالم»[1]

شعور قريش بالخطأ وإرسال أبي سفيان لإصلاح ما أفسدوه من الصلح :

قدّر عقلاء قريش ما يمكن أن يترتب على انتهاء الهدنة بينهم وبين المسلمين ، فقرّروا إيفاد أبي سفيان بن حرب إلى المدينة للتشبث بتثبيت العهد وإطالة مدته[2] ، فقدم أبو سفيان على رسول الله ﷺ المدينة ، فدخل على ابنته أم حبيبة بنت أبي سفيان رضي الله عنها ، وهي زوجة رسول الله ﷺ ، فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله ﷺ طوته عنه : فقال : يا بنية ما أدري أرغبت بي عن هذا الفراش ، أم رغبت به عني؟ قالت : بل هو فراش رسول الله ﷺ وأنت رجل مشرك نجس ، ولم أحب أن تجلس على فراش رسول الله ﷺ ، قال : يا بنية لقد أصابك بعدي شر .

ثم خرج حتى أتى رسول الله ﷺ فكلمه فلم يرد عليه شيئاً ، وكذلك ذهب إلى أبي بكر وعمر وعلي رضي الله عنهم فكلمهم فلم يردوا عليه شيئاً ولم يشفعوا له عند النبي ﷺ ، فرجع أبو سفيان عائداً إلى قريش دون فائدة من رحلته تلك ، ليخبرهم بما لقي من صدود[3] .

الاستعدادات لفتح مكة وتطبيق مبدأ الحذر والسرية :

عزم رسول الله ﷺ على فتح مكة بعد نقض قريش العهد في صلح الحديبية ، وحرص خلال التجهز على كتمان الأمر حتى عن أقرب أصحابه إليه ؛ من أجل أن يفاجئ مكة بهجومه الحاسم ، فلا تستطيع مقاومةً ودفاعاً ، فتذعن للأمر وتحقن الدماء .[4] حتى إن أبا بكر الصديق رضي الله عنه دخل على ابنته عائشة زوج النبي ﷺ وهي تهيئ له جهازه ، فقال لها :

(١) المنهج الحركي للسيرة النبوية (٣/ ١١٠) مكتبة المنار- الأردن- الزرقاء الطبعة : السادسة ، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م
(٢) الرسول القائد (ص :٣٣٢)
(٣) ينظر/ المنهج الحركي للسيرة النبوية (٣/ ١١٠) وينظر/ الرسول القائد (ص :٣٣٣)
(٤) دراسة في السيرة (ص :٢٠٢)

أي بنية ! أأمركم رسول الله ﷺ أن تجهزوه ؟ قالت : نعم ، قال : فأين ترينه يريد ؟ قالت : والله لا أدري . ! ولقد وصل من قوة الإخفاء والسرية أن بعض الصحابة كانوا يقولون : يريد قريشاً ، وقائل يقول : هوازن ، وآخر يقول يريد ثقيفاً »

من مظاهر تطبيق النبي ﷺ مبدأ الحذر والسرية :

١ – إخفاء النبي ﷺ أمر توجهه إلى مكة عن زوجاته رضي الله عنهن أجمعين .

٢ – أمر النبي ﷺ أصحابه بالاستعداد للحرب ؛ ولم يخبرهم باتجاه حركته ، ولا بالعدو المتجه إليه .

٣ – إرسال النبي ﷺ سرية أبي قتادة الأنصاري رضي الله عنه الى « بطن إضم » ليزيد من إخفاء توجهه إلى مكة

٤ – بَثُّ النبي ﷺ رجالاً من الصحابة حول المدينة ليحول دون وصول أنباء حركته إلى قريش[1] حيث أخذ بالأنقاب (أي سد طرق المدينة) ، وعمَّى عليهم الأخبار ، فكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يطوف على الأنقاب قيِّماً بهم فيقول : لا تدعوا أحداً يمر بكم تنكرونه إلا رددتموه ، إلا من سلك إلى مكة فإنه يتحفظ به ويسأل عنه .

حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه يحاول إخبار قريش :

بعد ذلك أوضح النبي ﷺ الهدف وأعلم الناس بالتهيؤ إلى مكة ، مع المحافظة على سرية التحرك ، وكان رسول الله ﷺ يدعو ربه تعالى قائلًا : « اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتها في بلادها »[2] .

واستجاب الله تعالى دعاء رسوله ﷺ ، فلم تعرف قريش بخبر تحرك النبي ﷺ لفتح مكة ، بالرغم من حدوث محاولة من حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه وهو صحابي جليل من السابقين الأولين في الإسلام وممن شهدوا غزوة بدر ، حيث كتب حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه كتاباً إلى قريش يخبرهم بأمر توجه النبي ﷺ إليهم ، ثم أعطاه امرأة ، وجعل لها أجراً من

---

(١) الرسول القائد (ص :٣٣٤)
(٢) الروض الآنف (٧/ ٥٨)

المال على أن تبلغه قريشاً ، فجعلته في طيات شعرها ثم خرجت به ، فنزل الوحي يخبر النبي ﷺ بذلك ، فبعث النبي ﷺ علياً بن أبي طالب ، والزبير بن العوام رضي الله عنهما فقال : «أدركا امرأة كتب معها حاطب إلى قريش يحذرهم ما أجمعنا له في أمرهم» ، فخرجا حتى أدركاها واستخرجا الكتاب منها .

حكمة النبي ﷺ وتقديره لأهل السبق في خدمة الإسلام :

لم يتعجل رسول الله ﷺ في الحكم على حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه ، ولكنه دعاه وقال : «يا حاطب ، ما حملك على هذا ؟» قال : يا رسول الله ، لا تعجل عليَّ ، إني كنت امرءاً ملصقًا في قريش ، ولم أكن من أنفسهم ، وكان مَن معك من المهاجرين لهم قرابة يحمون أموالهم بها وأهليهم بمكة ، ولم يكن لي قرابة ، فأحببت إذ فاتني ذلك من بينهم أن أتّخذ فيهم يداً أحمي بها قرابتي ، وما فعلت ذلك كفراً بعد إسلام ، فقال رسول الله ﷺ : «إنه قد صدقكم» . فقال عمر رضي الله عنه لحاطب رضي الله عنه : قاتلك الله !! ترى رسول الله ﷺ يأخذ بالأنقاب وتكتب إلى قريش تحذرهم ؟ دعني يا رسول الله أضرب عنقه ، فإن الرجل قد نافق ، فقال رسول الله ﷺ : « ما يدريك يا عمر أن الله عز وجل اطّلع إلى أصحاب بدر يوم بدر فقال :اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم » فاغرورقت عينا عمر رضي الله عنه ، وقال : الله ورسوله أعلم[1] وأنزل الله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ ﴾[2] وينبغي أن ندرك ما في هذا الحادث من عبرةٍ بالغةٍ ، فالنبي ﷺ يعطينا من خلال تصرفه هذا درسين :

١ ـ أن نقدر لأهل السبق في خدمة الإسلام جهدهم ، وإن وقع منهم خطأ فلهم حسنات كثيرة .

٢ ـ أن نلتمس المعذرة للمخطئ إذا لم يصر على خطئه ورجع وتاب وأناب .

---

(١) ينظر/ سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (٥/ ٢١١) وينظر/ الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله ﷺ والثلاثة الخلفاء (١/ ٥٠١)

(٢) سورة الممتحنة :١

في طريق التوجه إلى مكة :

انطلق الرسول ﷺ في العاشر من رمضان في السنة الثامنة للهجرة ، وخرج معه المهاجرون والأنصار ، وكان عددهم حين خروجهم من المدينة عشرة آلاف ، ثم انضم إليهم بعض الناس في الطريق ، وظلوا سائرين حتى وصلوا بعد سبعة أيام إلى « مر الظهران » وهو وادٍ على مقربة من مكة ، وهناك أمر رسول الله ﷺ أن يوقد كل فرد ناراً لتظهر قوة الجيش الإسلامي القريب من مكة ، فيلقي الرعب في قلوب قريش فتأتي صاغرةً للتسليم .[1]

العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه يسعى لإقناع قريش بعدم جدوى المقاومة :

كان العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه عم الرسول ﷺ قد أسلم ، وذهب إلى المدينة مُهاجراً بعِياله ، فلما قابله النبي ﷺ بالْجُحْفَةِ ذاهباً لفتح مكة رجع معه ،[2] وجعل العباس رضي الله عنه هدفه أن تقتنع قريش بعدم جدوى المقاومة ، وأن يجيء زعماؤها فيستأمنوا الرسول ﷺ قبل وقوع المحذور ، فخرج يبحث عن رجل يذهب إلى مكة ليخبر أهلها بمكان معسكر المسلمين ؛ لكي يجيئوا فيعتذروا ويستأمنوا .

فلما نزل رسول الله ﷺ مر الظهران ، تقدَّم العباس باتجاه مكة فوجد أبا سفيان وبديل بن ورقاء قد خرجا يستطلعان الخبر الذي شاعت أنباؤه في مكة ، فسمع حديثهما العباس رضي الله عنه عن قرب ، وإذا بأبي سفيان يقول لبديل بن ورقاء : ما رأيت نيراناً قط ولا عسكراً بهذا الشكل ، فيجيبه بديل : هذه والله خزاعة قد حمشتها « أحرقتها» الحرب ، فيرد أبو سفيان : خزاعة أذل وأقل من أن تكون هذه نيرانها وعسكرها ! يقول العباس رضي الله عنه : فعرفت صوته ، فقلت : أبا حنظلة ، فعرف صوتي فقال : أبو الفضل ؟ قال : قلت : نعم ، قال : ما لك ؟ فداك أبي وأمي ، قال : قلت : ويحك يا أبا سفيان هذا رسول الله ﷺ في الناس ، واصباح قريش والله ، قال : فما الحيلة ؟ فداك أبي وأمي ، قال : قلت : والله لئن ظفر بك ليضربن عنقك ، فاركب في عجز هذه البغلة حتى آتي بك رسول الله ﷺ فأستأمنه لك .

---

(١) القول المبين في سيرة سيد المرسلين (ص :٣٤٨)
(٢) الروض الأنف ت الوكيل (٧/ ٦١)

قال : فركب خلفي .

أبو سفيان يعلن إسلامه أمام رسول الله ﷺ :

استأذن عمر بن الخطاب رضي الله عنه الرسول ﷺ في قتل أبي سفيان ولكن العباس رضي الله عنه سرعان ما أعلن جواره له ، فأصدر الرسول ﷺ أمره إلى عمه أن يذهب بأبي سفيان إلى رحله فإذا أصبح أتاه به ، وفي الصباح جيء به إلى الرسول ﷺ فقال له : «ويحك يا أبا سفيان ، ألم يأن لك أن تعلم أنه لا إله إلا الله ؟» قال : بأبي أنت وأمي ما أحلمك وأكرمك وأوصلك ، والله لقد ظننت أن لو كان مع الله إله غيره لقد أغنى عني شيئاً بعد !! استمر الرسول ﷺ في الحديث قائلًا : «ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أني رسول الله ؟» قال : بأبي أنت وأمي . . أمَّا هذه والله فإن في النفس منها حتى الآن شيئاً ، فقال له العباس رضي الله عنه : ويحك أسلم واشهد ألا إله إلا الله وأن محمّداً رسول الله قبل أن تُضْرَبَ عنقك ، عند ذاك أعلن أبو سفيان إسلامه ، قال العباس : قلت : يا رسول الله ، إن أبا سفيان رجل يحب هذا الفخر فاجعل له شيئاً ، قال : نعم : من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ، ومن أغلق بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن ، فلما ذهب لينصرف قال رسول الله ﷺ ياعباس احبسه بمضيق الوادي عند خطم الجبل ، حتى تمر به جنود الله فيراها .[1]

حكمة النبي ﷺ وعبقريته الحربية عند دخول مكة :

لقد ظهرت حكمة النبي ﷺ وعبقريته الحربية عند دخول مكة من خلال عدة مواقف منها :

١ – أمره ﷺ للجيش بإيقاد نار لتظهر قوة المسلمين فيلقي الرعب في قلوب قريش فتأتي صاغرةً للتسليم .

٢ – أعلن أن من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ، ومن أغلق بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن ، وبذلك طبق أسلوب « حظر التجول » لكي يتمكن من دخول مكة بأقل قدر من إراقة الدماء .

---

(١) ينظر/ الروض الأنف (٧/ ٦٤) بتصرف وينظر/ المنهج الحركي للسيرة النبوية (٣/ ١١٣)

٣ – أشبع ﷺ في أبي سفيان عاطفة الفخر وحب التميز كي يكون ساعده في إقناع قريش بالسلم .

٤ – أمره ﷺ العباس رضي الله عنه أن يحجز أبا سفيان رضي الله عنه عند مدخل المضيق الذي تسير منه قوات المسلمين في طريقها إلى مكة ، فيراها رأي العين فيزداد يقيناً بألا قدرة لقريش على المقاومة .

وبالفعل كان مرور قوات المسلمين من الممر الضيق له أعظم الأثر في نفس أبي سفيان حتَّى قال للعباس رضي الله عنه : والله يا أبا الفضل ، لقد أصبح ملك ابن أخيك الغداة عظيماً ، قال : قلت : يا أبا سفيان ، إنها النبوة ، قال : نعم إذاً .[1] ثم طلب منه العباس رضي الله عنه أن يسرع إلى قومه يعلمهم بما رأى وسمع .[2]

ما يستفاد من الدرس :

١ – نقض قريش صلح الحديبية يعتبر السبب المباشر لفتح مكة .

٢ – سعي أبي سفيان لتثبيت العهد وإطالة مدّته مع النبي ﷺ بعد غدرهم بقبيلة خزاعة .

٣ – حرص النبي ﷺ على تطبيق مبدأ السرية أثناء توجهه إلى مكة .

٤ – تقدير النبي ﷺ لأهل السبق في الإسلام من خلال عفوه عن حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه .

٥ – بيان حكمة النبي ﷺ وعبقريته الحربية عند دخوله مكة وحرصه على تجنب إراقة الدماء .

٦ – إسلام أبي سفيان رضي الله عنه وتوجهه إلى أهل مكة حاثّاً لهم على عدم المواجهة والقتال .

---

(١) السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث (ص :٧٥٧) .
(٢) دراسة في السيرة (ص :٣٠٣) ، (ص : ٢٠٥) .

التقويم

س١ : اختر المكمل الصحيح مما بين القوسين بوضع خط تحته فيما يأتي :

١ـ أغارت قبيلة بكر على قبيلة خزاعة على ماء يقال له :

(الوتير – الغدير – الهدير)

٢ـ الذي ذهب إلى النبي ﷺ لإصلاح ما أفسدته قريش هو :

(أبو لهب – أبو سفيان – أبو جهل)

٣ـ أعلن النبي ﷺ عند دخوله مكة أن من أغلق عليه بابه فهو :

(مذعور – خائف – آمن)

٤ـ كان عدد المسلمين عند خروج النبي ﷺ لفتح مكة :

(عشرة آلاف – خمسة آلاف – ستة آلاف)

س٢ : علل ما يأتي :

١ـ عزم النبي ﷺ على فتح مكة :

. . . . . .

٢ـ إرسال النبي ﷺ سرية أبي قتادة الأنصاري رضي الله عنه الى « بطن إضم » :

. . . . . .

٣ـ أمر النبي ﷺ الصحابة أن يوقدوا ناراً عند القرب من مكة :

. . . . . .

س٣ : من الشخصية المقصودة فيما يأتي ؟

١ـ حاول إخبار قريش بتحرك النبي ﷺ إلى مكة :

(.....)

٢ـ أعلن جواره لأبي سفيان عند فتح مكة وكان سبباً في إسلامه .

(.....)

س٤ : انسب العبارات الآتية إلى قائليها :

١ـ « نصرت يا عمرو بن سالم »

القائل : (.....)

٢ـ « لقد أصبح ملك ابن أخيك الغداة عظيماً»

القائل : (.....)

س٥ : تمم العبارات الآتية بما يناسبها مما بين القوسين فيما يأتي :

(شوال – أم حبيبة رضي الله عنها – رمضان – السرية – المخطئ – الشورى)

١ـ حرص النبي ﷺ على تطبيق مبدأ ..... أثناء توجهه إلى مكة .

٢ـ منعت ..... أبا سفيان من الجلوس على فراش النبي ﷺ لأنه مشرك نجس .

٣ـ توجه النبي ﷺ لفتح مكة في العاشر من ..... سنة ٨ هـ .

٤ـ يستفاد من فتح مكة قبول معذرة ..... إذا تاب ولم يصر على خطئه .

الدرس العاشر

تابع : فتح مكة

تمهيد :

انطلق أبو سفيان فرحاً بما نال من فخر منادياً في الناس بأعلى صوته : يا معشر قريش هذا محمد قد جاءكم فيما لا قِبل لكم به ، فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن ، فانبرت له امرأته تقبح رأيه ، وقام القوم مستنكرين قائلين : قاتلك الله ، وما تغني عنا دارك ؟ فاستأنف أبو سفيان رضي الله عنه : ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن ، وأدركت الأغلبية العظمى من أهل مكة أنه لا جدوى في مخالفة أبي سفيان رضي الله عنه وهو يدعوهم إلى الأمان قبل أن تكتسحهم سيوف المسلمين ، فتفرقت إلى دورها وإلى المسجد الحرام وأغلقت من دونها الأبواب .

وبهذه الحكمة النبوية تحولت دار أبي سفيان رضي الله عنه التي كانت تدبر فيها المؤامرات لحرب الإسلام إلى دار إسلام وأمن لمن لم يشهر العداوة للمسلمين ، وكان هذا التصرف الحكيم من النبي ﷺ أيضاً كفيلاً بتغيير البناء النفسي لقائد قريش « أبي سفيان» ، والانتقال به من ظلمة الكفر إلى واحة الإسلام .

خطة النبي ﷺ عند دخول مكة :

سار الجيش الإسلامي حتى وصل إلى « ذي طوى» ، وفي هذا المكان رأى الرسول الحكيم والقائد العظيم ﷺ أن يقوم بتوزيع الجيش إلى فرق ، وأن تدخل كل فرقة من المكان المحدد لها على هذا النحو :

١ ـ سعد بن عبادة وابنه رضي الله عنهما يدخلان بقواتهما مكة من الجهة الشرقية .

٢ ـ أبو عبيدة عامر بن الجراح رضي الله عنه يتقدم بقواته بين يدي الرسول ﷺ ليدخل مكة من جهتها الغربية .

٣ ـ الزبير بن العوام رضي الله عنه يقود خيل المهاجرين والأنصار ليغرز راية المسلمين بالحجون أعلى مكة .

٤ - خالد بن الوليد ﷺ يدخل مكة من الجنوب ، ليواجه تجمع مقاتلي المشركين هناك .

وكان رسول الله ﷺ قد أمر قوّاده ألّا يقاتلوا إلا اضطراراً ، ويتضح حرص النبي ﷺ على تجنب القتال من موقفه من سيد الخزرج سعد بن عبادة ﷺ الذي كان يحمل راية الأنصار ، فلما مر بأبي سفيان ﷺ قال له : اليوم يوم الملحمة ، اليوم تستحل الحرمة ، اليوم أذل الله قريشاً ، فلما حاذى رسول الله ﷺ أبا سفيان قال : يا رسول الله ألم تسمع ما قال سعد؟ قال : وما قال ؟ فقال : كذا وكذا ، فقال ﷺ : «بل اليوم يوم المرحمة ، اليوم تعظم فيه الكعبة ، اليوم يوم أعز الله قريشاً» ، ثم أرسل إلى سعد ﷺ فنزع منه اللواء ، ودفعه إلى ابنه قيس ﷺ ، ورأى أن اللواء بذلك لم يخرج عن سعد ﷺ ، وهذا تصرف حكيم من النبي ﷺ حتى لا يتأثر سعد ﷺ بنزع اللواء من يده وإعطائه لشخص غريب .[1]

مقاومة ضعيفة من بعض المشركين :

دخل الجيش الإسلامي مكة ولم يلق مقاومةً تذكر إلا جيش خالد بن الوليد ﷺ فقد تجمع في مواجهته بعض المشركين الذين لم يرضهم أن يستسلموا ، ولم يعتدّوا بما منحوا من أمان فأعدوا عدتهم للقتال ، ومن هؤلاء : صفوان بن أمية ، وسهيل بن عمرو ، وعكرمة بن أبي جهل ، فلما دخل جيش خالد ﷺ أمطروه بنبالهم ، ولكن خالداً ﷺ لم يلبث أن فرّقهم ، وقتل بعضهم ، ولم يلبث صفوان وعكرمة وسهيل أن ولّوا الأدبار منهزمين ، ولما قيل لرسول الله ﷺ : هذا خالد بن الوليد يقتل ، فقال : قم يا فلان فأت خالداً فقل له يرفع يديه من القتل .[2]

النبي ﷺ يدخل مكة متواضعاً شاكراً ربه تعالى :

كان رسول الله ﷺ يقيم بالحجون في قبة من أدم ، ومعه أمّ سلمة ، وميمونة زوجتاه ﷺ ، ولما قال له أسامة بن زيد ﷺ : يا رسول الله : أين تنزل غداً ؟ تنزل في دارك ؟ قال :

(١) المنهج الحركي للسيرة النبوية (٣/ ١٢٢)
(٢) السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة (٢/ ٤٤٤)

«وهل ترك لنا عقيل من رباع أو دار ؟»[1] ، فقيل لرسول الله ﷺ فانزل في بعض بيوت مكّة غير منازلك ، فأبى رسول الله ﷺ ، ولم يزل رسول الله ﷺ مقيماً بالحجون لم يدخل بيتاً ، وكان يأتي المسجد لكل صلاة من الحجون .[2]

قالوا : مكث رسول الله ﷺ في منزله ساعة من النهار حتّى اطمأن النّاس ، فاغتسل ، ثم دعا براحلته القصواء ، فأدنيت إلى باب قبّته ، وعاد للبس السّلاح والمغفر على رأسه ، وقد حف الناس به ، فركب راحلته وإلى جنبه أبو بكر الصديق رضي الله عنه يسير معه يحادثه ، حتى دخل مكة ، ولم يدخل الرسول ﷺ مكة دخول الفاتحين المتكبرين ، بل كان خاشعاً لله شاكراً لأنعمه ، دخلها وهو راكب ناقته ومطأطئ رأسه ، حتى إن شعر لحيته ليمس واسطة رحله ؛ تواضعاً لله وشكراً على ما أكرمه الله به من الفتح ، وكان يقرأ سورة الفتح ويرجّع في قراءتها وهو على راحلته[3] . وكان هذا الفتح المبين في صبيحة العشرين من رمضان سنة ثمان من الهجرة .

تطهير الكعبة من الأصنام :

بمجرد أن دخل النبي ﷺ البيت الحرام ، أمر الرسول ﷺ بتحطيم الأصنام وتطهير البيت الحرام منها ، وشارك في ذلك بيده فكان يهوي بقوسه إليها فتتساقط ، وكانت ثلاثمئة وستين صنماً مرصّعة بالرّصاص ، وكان هُبل أعظمها وهو وجاه الكعبة ، فجعل رسول الله ﷺ كلّما مرّ بصنم منها يشير إليه ويطعن في عينه ويقول : ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ ﴾[4] فما يشير إلى صنم إلا سقط لوجهه فلما انتهى ﷺ إلى الكعبة فرآها ومعه المسلمون تقدّم على راحلته ، واستلم الركن بمحجنه ، وكبّر ، فكبّر المسلمون بتكبيره ، فرجّعوا التكبير حتّى ارتجّت مكة تكبيراً ، والمشركون فوق الجبال ينظرون .

ثم انتهى رسول الله ﷺ إلى المقام فصلى ركعتين ، ثم انصرف إلى زمزم فنزع له العباس

---

(١) كان عقيل بن أبي طالب قد باع منزل الرسول ﷺ ومنزل إخوته من الرجال والنساء بمكة ، وكان كافراً ثم أسلم بعد ذلك .
(٢) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (٥/ ٢٣١)
(٣) السيرة النبوية الصحيحة محاولة لتطبيق قواعد المحدثين في نقد روايات السيرة النبوية (٢/ ٤٨٢)
(٤) سورة الإسراء : ٨١

بن عبد المطلب ﷺ دلوًا ، فشرب منه وتوضأ والمسلمون يبتدرون وضوء رسول الله ﷺ يصبّونه على وجوههم ، والمشركون ينظرون إليهم ويتعجّبون ويقولون : ما رأينا ملكًا قط أبلغ من هذا ولا سمعنا به .

وهكذا تم تطهير البيت العتيق من مظاهر الشرك والوثنية .

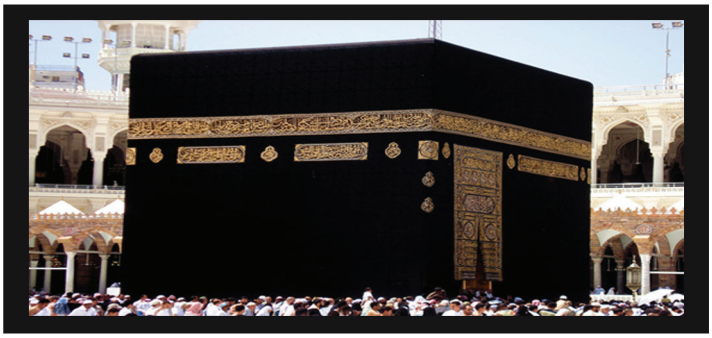

محاولة لقتل النبي ﷺ في أثناء طوافه بالبيت :

كان فضالة بن عمير الليثي ، يكره النبي ﷺ ويريد الانتقام منه ، فرأى أن وقت طوافه بالبيت هو الوقت المناسب لقتله ؛ حيث ازدحام الناس حوله ، وبالفعل بدأ فضالة في تنفيذ ما يريد حتى اقترب من النبي ﷺ وهو يطوف بالبيت ، ولكن الله تعالى حافظ رسوله ﷺ ومتم نوره ، فلما دنا فضالة من رسول الله ﷺ قال له رسول الله ﷺ : « أفضالة ؟ » قال : نعم ، فضالة يا رسول الله ، قال : ماذا كنت تحدث به نفسك ؟ قال : لا شيء ، كنت أذكر الله . فضحك النبي ﷺ ثم قال : «استغفر الله» . ثم وضع يده على صدره فسكن قلبه فكان فضالة يقول : والله ما رفع يده عن صدري حتى ما من خلق الله شيء أحب إليّ منه .[1]

في جوف الكعبة

ثم دعا النبي ﷺ عثمان بن طلحة ﷺ حاجب الكعبة ، فأخذ منه المفتاح فَفُتحت له الكعبة ، فدخلها وكبّر في جوانبها وصلّى فيها ركعتين ، ورأى على جدرانها صور الملائكة

(١) السيرة الحلبية= إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون (٣/ ١٤٦)

وغيرهم ، وصورة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام بيدهما الأزلام يستقسمان بها فقال : « قاتلهم الله ، لقد علموا ما استقسما بها قط » !! وأمر بالصور فأزيلت ، وبالأصنام فأخرجت .[1]

يوم بر ووفاء وأداء للأمانات :

كان مفتاح الكعبة في بني شيبة ، وكان حمل مفتاح الكعبة من المفاخر التي يحرص عليها العرب جميعاً ، ولكن الله أراد أن يكون مع بني شيبة وكان حملُ المفتاح يسمى (الحجابة) ، وقد أراد علي بن أبي طالب ﷺ أن يأخذ المفتاح قائلاً : « يا رسول الله اجمع لنا الحجابة مع السقاية » ، ولكن النبي ﷺ قياماً منه بواجب البر والوفاء قال : « أين عثمان بن طلحة » ؟ فَدُعِي له فقال : « هذا مفتاحك يا عثمان ، اليوم يوم بر ووفاء » وقال : « خذوها يا بني شيبة خالدةً تالدةً ، لا ينزعها منكم إلا ظالم »[2] ولا يزال مفتاح الكعبة فيهم إلى يومنا هذا وإلى ما شاء الله ، وفي هذه الحادثة نزل قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا ﴾[3]

أذان بلال ﷺ فوق الكعبة :

بعد أن طهرت الكعبة من الأصنام أمر النبي ﷺ بلالًا فأذّن فوقها ، مما أهاج غيظ الذين لم يكونوا قد تخلّصوا من آثار الجاهلية ، حتى لقد قال بعضهم : الحمد لله الذي مات فلانٌ قبل أن يرى هذا العبد الأسود على ظهر الكعبة !! وقال أبو سفيان ﷺ : لا أقول شيئاً ، لو تكلمت لأخبرت عنّي هذه الحصا ، فأتى جبريل رسول الله ﷺ فأخبره خبرهم ، فخرج عليهم رسول الله ﷺ فقال « قد علمت الّذي قلتم » فقالوا : نشهد أنك رسول الله ﷺ ما اطلع على هذا أحد كان معنا فنقول أخبرك .[4]

---

(١) السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة (٢/ ٤٤٦)
(٢) فتح الباري لابن حجر (٨/ ١٩)
(٣) سورة النساء :٥٨
(٤) ينظر/ السيرة النبوية لابن كثير (٣/ ٥٧٥) باختصار وتصرف

عفو النبي ﷺ عن أهل مكة :

رغم أنواع الأذى التي ألحقها المشركون برسول الله ﷺ وأصحابه ، ورغم قدرة الجيش الإسلامي على إبادتهم ، فقد جاء إعلان العفو عنهم وهم مجتمعون قرب الكعبة ينتظرون حكم الرسول ﷺ فيهم فقال : يا معشر قريش ما ترون أني فاعل بكم ؟ قالوا : « خيرًا ! أخ كريم وابن أخ كريم » . قال : (فإني أقول كما قال يوسف لإخوته : لا تثريب عليكم اليوم ، اذهبوا فأنتم الطلقاء)[1] ولم يكن عفو النبي ﷺ قاصرًا على عامة الناس بل لقد امتد لينال أناساً كان النبي ﷺ قد أهدر دماءهم وأمر بقتلهم حتى ولو تعلقوا بأستار الكعبة ؛ وذلك بسبب مواقفهم العدائية ضد الإسلام ، فجاء بعضهم وطلب العفو والأمان فأمنهم الرسول ﷺ وعفا عنهم ، وكان منهم : عكرمة بن أبي جهل ، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح .[2]

موقف عجيب من الأنصار يدل على مدى محبتهم لرسول الله ﷺ :

لما فرغ رسول الله ﷺ من طوافه ، أتى الصّفا فعلاه حتّى يرى البيت ، فرفع يديه ، وجعل يحمد الله تعالى ويذكره ، ويدعو ما شاء الله أن يدعو ، ولما رأى الأنصار سرور رسول الله ﷺ بالفتح ، وحفاوته بالكعبة والمسجد الحرام ، وذهابه إلى الصفا داعياً وشاكراً لله على عظم نعمائه – تخوفوا أن يقيم رسول الله ﷺ في بلده ، ولا يرجع إليهم فيحرموا منه ، فقال بعضهم لبعض فيما بينهم : أما الرجل فأدركته رغبة في قريته ، ورأفة بعشيرته ، أترون رسول الله إذ فتح الله عليه أرضه وبلده يقيم بها ؟ فأوحى الله إليه بما جرى ، فذهب إليهم فأخبرهم بما قالوا ، فأقروا ، فطمأنهم قائلاً : « كلا إني عبد الله ورسوله ، هاجرت إلى الله وإليكم ، فالمحيا محياكم ، والممات مماتكم » ، فأقبلوا إليه يبكون ويقولون : والله ما قلنا الذي قلنا إلا الظن بالله ورسوله ، يعني : ما قلنا هذه الكلمات إلا لأننا نريد الله ورسوله ، نريدك أن تكون معنا يا رسول الله ، فقال رسول الله : « إن الله ورسوله يصدّقانكم ويعذرانكم »[3]

---

(١) الرسول القائد (ص : ٣٤١)
(٢) السيرة النبوية الصحيحة محاولة لتطبيق قواعد المحدثين في نقد روايات السيرة النبوية (٢/ ٤٨٠)
(٣) السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة (٢/ ٤٦٢)

مبايعة النبي ﷺ الناس على الإسلام رجالاً ونساءً :

جلس رسول الله ﷺ يوم الفتح فبايع النّاس على الإسلام فجاءه الكبار والصّغار ، والرّجال والنّساء ، فبايعهم على شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله . وكان ممن أسلم في ذلك اليوم أبو قحافة والد الصحابي الجليل أبي بكر الصديق رضي الله عنه فلما دخل رسول الله ﷺ مكة ، ودخل المسجد أتاه أبو بكر رضي الله عنه بأبيه يقوده ، فلما رآه رسول الله ﷺ قال : « هلا تركت الشيخ في بيته حتى أكون أنا آتيه فيه ! » فقال أبو بكر رضي الله عنه :

يا رسول الله ، هو أحق أن يمشى إليك من أن تمشي إليه ، قال : فأجلسه بين يديه ثم مسح صدره ، ثم قال له : « أسلم » ، فأسلم[1] .

ويروى أن رسول الله ﷺ هنأ أبا بكر رضي الله عنه بإسلام أبيه[2] فلما فرغ رسول الله ﷺ من بيعة الرّجال بايع النساء .

حوار هادئ وصفح جميل :

جاءت هند بنت عتبة زوجة أبي سفيان ، وهي منتقبة متنكرة لا يعرفها أحد ، وكان رسول ﷺ يبايع النساء في ذلك اليوم مشافهة ما وضع يده في يد امرأة أجنبية قط ، وكانت بيعة النساء على ألا يشركن بالله شيئاً ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ، ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ، ولا يعصين في معروف ، فبدأت النساء تبايع ، فلما قال الرسول ﷺ : « ولا تسرقن » ، فوقفت هند وقالت : يا رسول الله ! إن أبا سفيان رجل شحيح لا يعطيني ما يكفيني ويكفي بني ، فهل علي من حرج إذا أخذت من ماله بغير علمه ؟ فقال ﷺ : « خذي من ماله ما يكفيك وبنيك بالمعروف » ، ثم انتبه ﷺ وعلم أن هذه التي تتكلم معه زوجة أبي سفيان فقال : « وإنك لهند بنت عتبة » قالت هند : نعم ، هند بنت عتبة فاعف عما سلف عفا الله عنك » فعفا عنها رسول الله ﷺ ، وقد أسلمت هند رضي الله عنها وحسن إسلامها[3] .

(١) الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله ﷺ والثلاثة الخلفاء (١/ ٥٠٥)
(٢) السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث (ص : ٧٧٣)
(٣) السيرة النبوية – راغب السرجاني (٣٩/ ١١)

نتائج فتح مكّة

كانت مكّة هي القلعة الحصينة والقاعدة المركزية للمشركين ، وهي البؤرة التي كانت تنظّم وتدعم كل القوى المناهضة للإسلام ، ومن ثمَّ فإن فتح مكة يعتبر صفحة جديدة في تاريخ الإسلام حيث أصبح من المتيقّن أن عهد عبادة الأصنام قد ولّى بغير رجعة ، وفُتح الطريق أمام القبائل العربية لتأتي وفودها وتعلن إسلامها لهذا الدين الجديد ، عدا قبيلتي هوازن وثقيف اللتين حاولتا التفكير في الهجوم على مكة .

ويمكن أن نلخص أهم النتائج المترتبة على فتح مكة في الآتي :

١ـ تطهير الكعبة والمسجد الحرام من مظاهر الشرك والوثنية .

٢ ـ مبادرة القبائل العربية إلى الإسلام وانضواء العرب تحت رايته .

٣ ـ إسلام أهل مكة وتحولهم إلى جنود مناصرين للإسلام .

٤ـ تثبيت وإرساء قواعد الحكم الإسلامي .

ما يستفاد من الدرس

١- التخطيط الجيد والأخذ بالأسباب من أهم مقومات النصر .

٢- دخول النبي ﷺ مكة متواضعاً شاكراً لربه .

٣- تطهير الكعبة من الأصنام أول أعمال النبي ﷺ بعد دخولها .

٤- عصمة الله تعالى لنبيه ﷺ من محاولة قتله عند طوافه بالبيت .

٥- تقرير مبدأ العفو وردّ الأمانات إلى أهلها .

٦- حب الأنصار لرسول الله ﷺ وحرصهم على الرجوع معهم بعد فتح مكة .

التقويم

س١ : تمم العبارات الآتية بما يناسبها مما بين القوسين فيما يأتي :

(أبو عبيدة – فِرَق – سعد بن عبادة – خالد بن الوليد ﷺ –الزبير بن العوام – أبو ذر ﷺ)

– قام النبي ﷺ بتوزيع الجيش إلى ..... قبل أن يدخل مكة ، فجعل ..... وابنه ﷺ يدخلان مكة من الجهة الشرقية ، و ..... عامر بن الجراح ﷺ يتقدم بقواته ليدخل مكة من جهتها الغربية ، و ..... يقود خيل المهاجرين والأنصار إلى أعلى مكة ، و ..... يدخل مكة من الجنوب ، ليواجه تجمع مقاتلي المشركين هناك .

س٢ : أجب عما يأتي :

١ـ بم تفسر أخذ النبي ﷺ اللواء من سعد بن عبادة ﷺ يوم فتح مكة وإعطائه لابنه قيس؟

.....

٢ـ علام بايع النبي ﷺ النساء عند فتح مكة ؟

.....

٣ـ ما المكان الذي كان يقيم فيه النبي ﷺ عند فتح مكة ؟

.....

س٣ : من الشخصية المقصودة فيما يأتي :

١ـ حاول قتل النبي ﷺ عند فتح مكة ولكن الله عصم نبيه ﷺ .

(.....)

٢ـ قال لها النبي ﷺ بعد فتح مكة : « خذي ما يكفيك وبنيك بالمعروف »

(.....)

٣ـ رجل من بني شيبة أعطاه النبي ﷺ مفتاح الكعبة بعد دخولها يوم فتح مكة .

(.....)

س٤ : اختر المكمل الصحيح مما بين القوسين بوضع خط تحته فيما يأتي :

١ـ كان حَمْل مفتاح الكعبة يسمَّى : (السقاية – الحماية – الحجابة) .

٢ـ أتم الله تعالى لنبيه ﷺ فتح مكة في رمضان سنة : (٨ هـ – ٩ هـ – ٦ هـ) .

٣ـ كان عدد الأصنام التي حُطِّمت يوم فتح مكة :

(ثلاثمئة – ثلاثمئة وستين – أربعمئة) .

٤ـ الذي أذَّن فوق الكعبة يوم فتح مكة :

(علي بن أبي طالب رضي الله عنه – بلال بن رباح رضي الله عنه – أبو دجانة رضي الله عنه)

س٥ : انسب العبارات الآتية إلى قائليها :

١ – « قم يا فلان فأت خالدًا فقل له يرفع يديه من القتل» .

القائل : (.....)

٢ – « لو تكلمت لأخبرت عنّي هذه الحصا » .

القائل : (.....)

٣– « هو أحق أن يمشى إليك من أن تمشى إليه» .

القائل : (.....)

الدرس الحادي عشر

غزوة حنين

تمهيد :

لم يتوقف نشاط المسلمين العسكري بعد فتح مكة ، بل أرسل النبي ﷺ السرايا لتوطيد سلطان الدولة الإسلامية ، وهدم الأصنام التي كان المشركون يعبدونها ، وقد وجه سريتين إلى أرض ثقيف وهوازن ، كان منها سرية بقيادة خالد بن الوليد رضي الله عنه بثلاثين فارساً لهدم العزى فهدمها ، وكانت في ديار ثقيف .[1]

تاريخ غزوة حنين :

تحرك المسلمون من مكة يوم السبت ٦ شوال سنة ٨ هـ إلى وادي حنين في اثني عشر ألفاً مقاتل[2] .

سبب غزوة حنين :

وصول أخبار إلى النبي ﷺ تفيد استعداد قبيلتي هوازن وثقيف لمهاجمة المسلمين في مكة قبل أن يأخذ جيش المسلمين حظه من الراحة والاستقرار ، وقالوا فيما بينهم : قد فرغ محمد لقتالنا ، فلنغزه قبل أن يغزونا .[3] وحينما علم النبي ﷺ والمسلمون بذلك ، قرَّر التأكد من صحة الأخبار ، ومن ثم فقد أرسل عبد الله بن أبي حدرد الأسلمي إلى منطقة تجمع المشركين ، فعاد مؤكداً صحتها ، لذا قرر الرسول ﷺ مهاجمة هذه القبائل قبل مهاجمتهم له .

تحرك هوازن وثقيف تحت قيادة « مالك بن عوف» :

أسندت هوازن وثقيف قيادة هذا التحرك إلى مالك بن عوف ، وكان شابًا في الثلاثين من عمره ، وكانت خطة مالك بن عوف في مهاجمة المسلمين تتلخص فيما يلي :

(١) السيرة النبوية الصحيحة محاولة لتطبيق قواعد المحدثين في نقد روايات السيرة النبوية د . أكرم ضياء العمري (٢/ ٤٨٩)
(٢) القول المبين في سيرة سيد المرسلين (ص : ٣٥٥)
(٣) السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث (ص : ٧٨٠)

١ – التبكير قبل المسلمين واحتلال الجبال المشرفة على وادي (حنين) الذي ستسلكه قوات المسلمين .

٢ – الهجوم على قوات المسلمين بعد دخولهم الوادي ، ومفاجأتهم برمي النبال عليهم من كل جانب ؛ لإرباك خطتهم و ترتيباتهم التي اتخذوها ، ثم مطاردة المسلمين بعد هذا الارتباك وإيقاع الهزيمة بهم .

٣ – تحرك قوات هوازن وثقيف ومعهم نساؤهم ، وأطفالهم ، وأموالهم ؛ وكان المقصد من ذلك ؛ أن يشعر كل رجل منهم وهو يقاتل أن حرمته وثروته وراءه فلا يفر عنها حتى الموت .

وقد اعترض دريد بن الصمّة – وكان رجلاً كبيراً في السن ولكنه صاحب تجارب وخبرة حربية – على أخذ النساء والأطفال والأموال قائلًا لمالك بن عوف : (هل يردّ المنهزم شيء؟ إن كانت الدائرة لك لم ينفعك إلا رجل برمحه وسيفه ، وإن كانت عليك فُضِحت في أهلك ومالك) ، فرد عليه : « إنك قد كبرت » وسفَّه رأيه . وكان مالك سقيم الرأي متهوراً سيئ المشورة ، حتى قال لقومه : والله لتطيعنني يا معشر هوازن أو لأتكئن على هذا السيف حتى يخرج من ظهري) فاضطرت هوازن إلى الأخذ برأي مالك [١]

غـــزوة حـنـــين

(١) الرسول القائد (ص : ٣٦٥)

تحرك الجيش الإسلامي باتجاه حنين :

سار المسلمون وسط صهيل الخيل ، وبريق السيوف ، معجبين بكثرتهم ، فخورين بقوتهم ، حتى لقد تحدث بعض من أسلم حديثاً إلى بعض قائلين : « لن نغلب اليوم من قلة . »

وسرعان ما انتشرت هذه الكلمة بين أفراد الجيش ، وهي تنبئ عن مرض خطير في نفوس من رددوها ، هذا المرض هو العُجْب بالنفس وبالعدد وبالإعداد المادي ، كما تنطوي على معنى الاعتماد على الأسباب ، ونسيان رب الأسباب ، وكأن النصر إذا جاء فهو من قوتنا وليس من الله تعالى ، ومن ثم كان لابد أن يأخذ المسلمون درساً في حسن الاعتماد واللجوء إلى الله تعالى ، وكان الدرس متمثلًا في تلك الإصابة التي أصابتهم في بداية المعركة .

الفريقان	القيادة العامة	القوة والعدد	الهدف من الخروج
المسلمون	رسول الله ﷺ	اثنا عشر ألفاً : عشرة آلاف من السابقين إلى الإسلام ، وألفان ممن أسلموا حديثًا .	ضرب القبائل المحتشدة من ثقيف وهوازن قبل أن تهاجم المسلمين .
المشركون	مالك بن عوف	عشرين ألفًا من قبيلتي هوازن وثقيف .	القضاء على قوات المسلمين .

(الجولة الأولى) بداية المعركة واضطراب صفوف المسلمين :

دخلت قوات المسلمين وادي (حنين) فجراً ، وكان وادياً منحدراً ينحط فيه الركبان كلما أوغلوا ، كأنهم يسيرون إلى هاوية ، فلما استقرت أكثر قوات المسلمين في الوادي ، رماهم المشركون بوابل من سهامهم ، فلم يعرف المسلمون مصدر ذلك الرمي ولا اتجاهه ، لأن الظلام كان مخيّماً وقتذاك ، ولأن مواضع المشركين كانت مخفية وغير ظاهرة ؛ فانسحبت

مقدمة المسلمين وجرفت أمامها قوات المسلمين الأخرى ، فانقلب انسحاب المسلمين إلى هزيمة .

وأخذ بعض ضعاف الإيمان ممن أسلموا حديثًا بعد فتح مكة يظهرون الشماتة بالمسلمين- بالرغم من خروجهم مع قوات المسلمين - حتى قال بعضهم : (لا تنتهي هزيمتهم دون البحر) .

وترك المشركون مواضعهم للقيام بالمطاردة بعد انسحاب المسلمين ، وأخذوا في مطاردة المسلمين ، وطعنهم بالرماح ، وانتشر الفزع بين المسلمين ، وارتبكت قوات المسلمين ، وركبت الإبل بعضها بعضاً وهي مهرولة بأصحابها ، وتعقدت الأمور ، ولقد وصفت آيات القرآن هذه اللحظات الصعبة التي شعر المسلمون فيها أن الصحراء الواسعة أصبحت ضيقةً جدّاً لا تسمح بالفرار قال تعالى : ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾[1] .

(الجولة الثانية) ثبات النبي ﷺ وهجوم المسلمين :

ثبت الرسول ﷺ في مكانه ، وثبت معه عدد قليل من أصحابه ، بينهم عمه العباس رضي الله عنه ، وأخذ الرسول القائد ﷺ ينادي الناس إذ يمرون به منهزمين : « أين أيها الناس !؟ أين !؟ هلموا إليّ ، أنا رسول الله ، أنا محمد بن عبد الله » ، فلا يرد عليه أحد بجواب ، لأن الارتباك كان سائدًا في الصفوف ، بل إن النبي ﷺ أخذ يصيح بأعلى صوته في هذا الموقف العصيب ، وهو مملوء بالثبات والثقة في نصر الله تعالى :« أَنَا النَّبِيُّ لا كَذِبْ ، أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبْ »[2] وفي هذه اللحظات أمر الرسول ﷺ عمه العباس - وكان جهير الصوت - أن ينادي : (يا أصحاب البيعة يوم الحديبية ، يا أصحاب سورة البقرة ، يا أنصار الله وأنصار

(١) سورة التوبة : ٢٥

(٢) رواه البخاري/ باب من قال : خذها وأنا ابن فلان (٤/ ٦٧)

رسوله ، يا بني الخزرج)[1]

وسمع النداء المهاجرون والأنصار ، فأخذوا يكافحون ليبلغوا مصدر الصوت ، فرمى أكثرهم درعه ، وترك بعيره ، واستصحب معه سيفه وترسه فقط ، ليبلغ مصدر الصوت بسرعة ما استطاع الي ذلك سبيلاً ، واجتمع حول الرسول ﷺ نحو مئة صحابي وهم يهتفون : (لبيك) ، فاستقبل الرسول ﷺ بهم المشركين ، وصمدوا في مواضعهم حتى فتر هجوم المشركين .

وكان النهار قد طلع وكان المشركون قد تركوا مواضعهم التي كانوا قد احتلوها في الهضاب والجبال المحيطة بوادي (حنين) ، فأدى صمود المسلمين وثباتهم إلى إيقاع بعض الخسائر بالمشركين ، مما أدى إلى انهيار معنويات المشركين وتراجعهم .

وأخذ عدد المسلمين الصامدين يتزايد ، وهناك بدأوا بالهجوم المضاد على المشركين ؛ وعندما رأت هوازن وثقيف أنّ المقاومة لا تجديهم نفعاً ، وأنهم لا يستطيعون صد هجوم المسلمين ، انسحبوا من ميدان المعركة تاركين وراءهم نساءهم وأبناءهم وأموالهم غنيمةً للمسلمين .

مطاردة الجيش الإسلامي لقوات المشركين وحصار الطائف :

انسحبت أكثر ثقيف باتجاه « الطائف » ، وكان معهم مالك بن عوف قائدهم ، وانسحبت كذلك هوازن والقبائل الأخرى باتجاه « أوطاس » و « نخلة » ، وقام المسلمون بالمطاردة ، وأوقعوا بالمنسحبين من هوازن خسائر فادحةً ، واستسلم الكثيرون منهم .

ثم تجمعت قوات المسلمين عند الطائف وحاصرتها لإجبار المشركين المتحصنين داخلها على الاستسلام ، إلا أنّ ثقيفاً سدّدت نبالها على المسلمين الذين كانوا قريبين من الحصون ، فأوقعوا فيهم بعض الخسائر ، فقرر الرسول ﷺ الانسحاب بعيداً عن مرمى النبل ،

(١) تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس (٢/ ١٠٥)

واستقرّ المسلمون في مواضع آمنة هناك ، وفكّر المسلمون في وسيلة يستطيعون بها إجبار الطائف على الاستسلام ، فأشار سلمان الفارسي رضي الله عنه بقذف حصونها بالمنجنيق وبمهاجمة تلك الحصون بالدبابات[1] ، فرمى المسلمون الطائف بالمنجنيق وتقرّب بعضهم بحماية الدبابات إلى سور الطائف ليخرقوه ، ولكنّ أهل الطائف استطاعوا إحباط هذا الهجوم ، إذ أحموا قطعاً من الحديد بالنار ، حتى إذا انصهرت ألقوها على الدبابات الخشبية فحرقتها ؛ فانسحب المسلمون المحتمون بها من تحتها لئلا يحترقوا ، فرمتهم ثقيف بالنبل بعد انكشافهم من حماية الدبابات ، ثم أمر النبي ﷺ برفع الحصار عن الطائف .

أسباب رفع النبي ﷺ الحصار عن الطائف :

يمكن إجمال أسباب رفع الحصار عن الطائف فيما يلي :

١ـ قوة حصون الطائف وتكديس المواد الغذائية فيها ، جعل استسلام أهلها صعباً يحتاج إلى مدة طويلة .

٢ـ رغبة الكثيرين ممن دخلوا في الإسلام حديثاً في العودة إلى ديارهم بعد طول مدة الحصار .

٣ـ قرب حلول الشهر الحرام « ذي القعدة » حيث يحرم القتال فيه .

٤ـ انتشار الإسلام في ثقيف مما جعل دخول أهلها جميعاً الإسلام أمراً أكيداً لا يحتاج إلا إلى وقت .

غنائم المسلمين في غزوة حنين وطريقة توزيعها :

كانت غنائم المسلمين في هذه الغزوة كثيرة جدّاً ، وقد بلغ تعدادها الآتي :

أربعة وعشرين ألف بعير ، وأربعين ألف شاة ، وأربعة آلاف أوقية من الفضة ، وستة

(١) الدبابات : آلات تصنع من خشب وتغطى بجلود ثم يدخل فيها الرجل ، لتحميهم من سهام الأعداء .
ويتكون المنجنيق من عمود طويل قوي موضوع على عربة ذات عجلتين في رأسها حلقة أو بكرة ، يمر بها حبل متين ، في طرفه الأعلى شبكة في هيئة كيس ، توضع حجارة أو مواد محترقة في الشبكة ، ثم تحرك بواسطة العمود والحبل ، فيندفع ماوضع في الشبكة من القذائف ويسقط على الأسوار فيقتل أو يحرق مايسقط عليه .

آلاف نسمة من السبي وقد بقيت هذه الغنائم غير موزّعة مدة طويلة ، لأن الرسول ﷺ كان ينتظر قدوم وفد من هوازن إليه تائبين ، ولكنه اضطر الى تقسيم الغنائم بعد أن بلغ انتظاره لهوازن ما يقرب من شهر ، دون أن يحضر إليه أحد خاصةً وأن الأعراب وحديثي الإسلام أخذوا يلحّون على الرسول ﷺ طالبين تقسيم الغنائم ، وشرع النبي ﷺ في تقسيم الغنائم ، وبدأ بالمؤلفة قلوبهم – الذين دخلوا الإسلام حديثًا ويريد النبي ﷺ أن يتألفهم ليرسخ الإسلام في قلوبهم – ، فأعطاهم أوفى العطاء وأجزله ؛ حتى لقد أعطى لأبي سفيان مئة من الإبل وأربعين أوقية من الفضة ، فقال : « وابني معاوية » ؟ فمنح مثلها لمعاوية ، فقال : « وابني يزيد » ؟ فمنح مثلها لابنه يزيد رضي الله عنهم ، وأقبل رؤساء القبائل وأصحاب الطمع يتسابقون إلى ما يمكن أخذه ، وشاع أن النبي ﷺ يعطي عطاء من لا يخشى الفقر ، وأكبّ عليه الأعراب يقولون : « يا رسول الله ! اقسم علينا فيئنا »[1]

حزن الأنصار بسبب قسمة الغنائم في غزوة حنين :

في مقابل هذا العطاء الوافر للمؤلفة قلوبهم ، كان نصيب السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار لا يكاد يذكر من قلته ؛ وذلك ثقةً من النبي ﷺ في قوة إيمانهم وحرصهم على ثواب الله تعالى وعدم تطلعهم إلى متاع الدنيا من الأموال والغنائم ، وبالرغم من ذلك فقد تحدث بعض الأنصار عن ذلك ، ووجدوا في أنفسهم أن النبي ﷺ لم يعطهم مثل ما أعطى الآخرين ، فجمعهم النبي ﷺ وبيّن لهم فضلهم على سائر الناس وحبه لهم وثقته في إيمانهم فقال : « أوجدتم يا معشر الأنصار في أنفسكم في لعاعة من الدنيا تألفت بها قوماً ليسلموا . . ووكلتكم إلى إسلامكم ؟ ألا ترضون يا معشر الأنصار أن يرجع الناس بالشاة والبعير وترجعوا برسول الله إلى رحالكم ؟ فو الذي نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنت امرأً من الأنصار ، ولو سلك الناس شعباً وسلك الأنصار شعباً لسلكت شعب الأنصار . اللهم

(١) ينظر/ سيرة النبوية/ ابن هشام (٢/ ٤٩٢) وينظر / سبل الهدى و الرشاد في سيرة خير العباد (٥/ ٣٩٥) وينظر/ الرسول القائد (ص : ٣٧١)

ارحم الأنصار ، وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار» . فبكى القوم حتى أَخْضَلُوا لحاهم ، وقالوا رضينا برسول الله قسماً وحظّاً .[1] وبهذه الحكمة النبوية استطاع أن يزيل النبي ﷺ من نفوسهم الحزن ويرضوا بقسمته ﷺ ، بل ويرجعوا فرحين برجوع النبي ﷺ معهم .

عفو النبي ﷺ وإكرامه لوفد هوازن :

بعد قسمة الغنائم أقبل وفد من هوازن مسلمًا ، وسألوا رسول ﷺ أن يردّ عليهم سبيهم وأموالهم ، فكان من ردِّ النبي ﷺ عليهم : « أمَّا ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم» .

قال المهاجرون : « وما كان لنا فهو لرسول الله» ، وكذلك قال الأنصار ، وهكذا ردّ المسلمون السبايا إلى هوازن[2] ، بل إن النبي ﷺ سأل وفد هوازن عن زعيمهم مالك بن عوف لأنه لم يحضر معهم فأخبروه أنه في الطائف في حصون ثقيف يخشى على نفسه القتل ، فقال لهم النبي ﷺ : (أخبروا مالكاً أنه إن أتاني مسلماً رددت عليه أهله وماله وأعطيته مئة من الإبل)[3] .

وكان هذا سبباً في إسلام مالك بن عوف ، وتحوله من عداوة الإسلام والمسلمين إلى جندي مناصر لدين الله ، وفي آخر ذي القعدة سنة ٨ هـ انصرف النبي ﷺ راجعاً إلى المدينة بعدما ولّى على مكة عتاب بن أسيد وترك معه معاذ بن جبل رضي الله عنهما لتعليم الناس الفقه والقرآن[4]

---

(١) القول المبين في سيرة سيد المرسلين (ص :٣٥٩)
(٢) ينظر/ دلائل النبوة للبيهقي (٥/ ١٩٥) وينظر/ السيرة النبوية والدعوة في العهد المدني (ص : ٦٠٥)
(٣) السيرة النبوية- راغب السرجاني (٨/ ٤٢)
(٤) السيرة النبوية والدعوة في العهد المدني أحمد أحمد غلوش (ص : ٦٠٧)

ما يستفاد من الدرس :

١ – عزم القبائل المشركة على مهاجمة مكة بعد فتح مكة للقضاء على المسلمين .

٢ – حرص النبي ﷺ على استطلاع الأخبار وإعداد العدة قبل المعركة .

٣ – إصابة المسلمين في الجولة الأولى يرجع إلى داء العجب بالنفس والاعتماد على الأسباب .

٤ – ثبات النبي ﷺ وعدد قليل من الصحابة حوله غيَّر موازين المعركة لصالح المسلمين .

٥ – كثرة غنائم المسلمين من غزوة حنين وإعطاء النبي ﷺ للمؤلفة قلوبهم النصيب الأوفر منها .

٦ – ثناء النبي ﷺ على الأنصار وإظهار مقامهم في الإسلام أذهب حزنهم وأرضى قلوبهم .

٧– حسن معاملة النبي ﷺ لمشركي هوازن وثقيف جعل أكثرهم يبادرون إلى الإسلام .

التقويم

س١ : أجب بكلمة (نعم) أو كلمة (لا) على كل مما يأتي :

١ـ كان عدد المسلمين في غزوة حنين خمسة آلاف . [.....]

٢ـ أُعجب المسلمون بقوتهم وكثرة عددهم في غزوة حنين . [.....]

٣ـ انسحاب المشركين في غزوة حنين بعد صمود النبي ﷺ والصحابة . [.....]

٤ـ خرج النبي ﷺ لمواجهة ثقيف وهوازن في شوال سنة ٩هـ . [.....]

س٢ :ضع الرقم المناسب من المجموعة (أ) أمام ما يناسبه من المجموعة (ب) في الجدول الآتي :

الرقم	المجموعة (أ)	الرقم	المجموعة (ب)
١	بعث النبي ﷺ سرية إلى ثقيف وهوازن بقيادة :		ليرسخ الإيمان في قلوبهم .
٢	الذي قاد تحالف هوازن وثقيف ضد المسلمين :		خالد بن الوليد رضي الله عنه .
٣	بدأ النبي ﷺ الغنائم بالمؤلفة قلوبهم :		مالك بن عوف .
٤	حسن معاملة النبي ﷺ لمشركي هوازن وثقيف :		علي بن أبي طالب رضي الله عنه .
			جعلهم يبادرون إلى الإسلام .

س٣ : أجب ما يأتي :

١ـ اكتب ثلاثة من أسباب رفع الحصار عن الطائف :

.....

.....

.....

٢ـ لماذا أبقى النبي ﷺ غنائم هوازن وثقيف مدة طويلة ولم يوزعها ؟

. . . . . .

. . . . . .

س٤ : من الشخصية المقصودة فيما يأتي :

١- أرسله النبي ﷺ ليتأكد من صحة تحرك هوازن وثقيف لمهاجمة المسلمين :

(. . . . .)

٢- اعترض على مالك بن عوف عند أخذه النساء والصبيان لمواجهة المسلمين :

(. . . . .)

الدرس الثاني عشر

غزوة تبوك « العسرة »

تمهيد :

كان فتح مكة « ٨ هـ » بداية مرحلة جديدة في تاريخ الدعوة الإسلامية ، حيث بدأ الناس يدخلون في دين الله أفواجاً ، وأخذ المسلمون حريتهم في الحركة لنشر تعاليم الإسلام في كل جوانب الجزيرة العربية ، ولكن أنّى لأعداء الإسلام أن تنام أعينهم وهم يجدون راية الإسلام تعلو في كل مكان ، حتى في تلك القبائل الخاضعة لحكم الرومان ، والتي حدثت فيها غزوة مؤتة ، حيث دخل بعضهم الإسلام بالفعل مثل فروة بن عمرو الجذامي الذى كان قائداً لإحدى الفرق الرومانية عندما اقتتل الرومان مع المسلمين في مؤتة ، فضاق الرومان ذرعاً بإسلامه وقتلوه [١] .

تاريخ غزوة تبوك [٢] :

وقعت غزوة تبوك[٣] في رجب من صيف عام ٩ هـ ، بعد العودة من الطائف بستة أشهر تقريباً [٤] .

أسباب غزوة تبوك :

كان « قيصر » – ملك الروم – ، يحس بقوة المسلمين ، ويرى في تزايدها خطراً يهدد ملكه ؛ ولذا لم يمر بعد معركة مؤتة سنة كاملة ، حتى أخذ يجهّز قواته من الروم والعرب التابعين له ؛ ليخوض بهم معركة فاصلة ضد المسلمين ؛ لكسر شوكتهم ، وإضعاف هيبتهم بين الناس .

---

(١) خاتم النبيين ﷺ (٣/ ٩٥١)

(٢) تسمى غزوة تبوك :«غزوة العسرة» وذلك من قوله تعالى : ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ﴾ [التوبة :١١٧] كما تسمى الفاضحة لافتضاح المنافقين فيها .

(٣) وتبوك موقع شمال الحجاز يبعد عن المدينة المنورة ٧٧٨ كيلو حسب الطريق المعبدة في وقتنا الحاضر .

(٤) السيرة النبوية الصحيحة محاولة لتطبيق قواعد المحدثين في نقد روايات السيرة النبوية (٢/ ٥٢٢)

الأخبار العامة عن استعداد الرومان لغزو بلاد المسلمين :

وصلت الأخبار إلى النبي ﷺ والمسلمين باستعدادات الرومان للقيام بغزوة حاسمة ضد المسلمين ، بل إن هرقل وزّع مرتبات سنة كاملة على قواته النظامية ، كما وزّع كثيراً من المال على القبائل العربية الخاضعة لسيطرته ، تشجيعاً لهم على معاونة جيشه في مواجهة المسلمين[١] .

ولقد أخذ القلق يخيّم على المدينة ؛ بسبب ما أشيع عن أعداد الرومان والقبائل الموالية لهم ، حتى قيل إن قوام جيش الأعداء أربعون ألف مقاتل ، ومعه بعض القبائل من نصارى العرب .

الرسول ﷺ يقرر القيام بأمر حاسم ضد الروم :

كان التواني والتكاسل عن مواجهة الرومان ، وتركهم يزحفون إلى المدينة وإلى المناطق التي أصبحت تحت سيطرة الدولة الإسلامية ونفوذها ؛ أمراً في غاية الخطورة لما سيترتب عليه من الآثار السيئة على الدعوة الإسلامية ، وعلى سمعة المسلمين العسكرية ، فالجاهلية التي صارت في رمقها الأخير ، سوف تلتقط أنفاسها وتقوى مرة أخرى ، وسوف يجد المنافقون بسبب التواني عن مواجهة الرومان فرصة سانحة لضرب المسلمين بخناجرهم من الخلف ، وبذلك تذهب المكاسب التي حققها النبي ﷺ والمسلمون بدون جدوى .

ولقد كان رسول الله ﷺ يقدِّر تلك الآثار جيداً ، ولذلك قرر القيام بغزوة فاصلة يخوضها المسلمون ضد الرومان على حدودهم ، ولا يمهلونهم حتى يدخلوا ديار الإسلام .[٢]

---

(١) الرسول القائد (ص : ٣٩٩)

(٢) ينظر الرحيق المختوم (ص : ٣٦٧)

من صعوبات توقيت الغزوة :

كان الخروج للغزوة صعباً على نفوس بعض الصحابة ﷺ لعدة أسباب من أهمها :

١ـ شدة الحر حيث كان الوقت فصل الصيف .

٢ ـ كان الناس في عسرة وجدب وقلة من الظهر .

٣ـ كانت الثمار قد طابت ، فكانوا يحبون المقام بجوارها ، ويكرهون تركها بعدما بدأ قطافها .

٤ ـ نفور النفوس من طول مسافة السفر وكراهية مشقة الطريق .

الإعلان بالتهيؤ لقتال الروم :

لما قرر رسول الله ﷺ قراره الحاسم ، أعلن في الصحابة ﷺ أن يتجهزوا للقتال ، وبعث إلى قبائل العرب وإلى أهل مكة يستنفرهم ، وكان ﷺ إذا أراد الخروج في غزوة أخفى مقصده ، وأظهر غير وجهته ؛ للحذر من أعدائه ولمباغتتهم ، ولكنه نظراً إلى خطورة الموقف وإلى شدة العسرة أعلن أنه يريد لقاء الروم ، وعرف الناس مقصده الحقيقي منذ اللحظات الأولى ، وذلك ليستعد المسلمون الاستعداد اللازم وليتأهبوا الأهبة الكاملة ، وأخذ ﷺ يحض المسلمين على الجهاد ، وبذل الصدقات لتجهيز الجيش .

المسلمون يتسابقون إلى التجهز للغزو :

بمجرد أن سمع المسلمون رسول الله ﷺ يدعو إلى قتال الروم إلا وسارعوا لامتثال أمره ، فقاموا يتجهزون للقتال بسرعة بالغة ، وأخذت القبائل تأتي إلى المدينة من كل صوب وناحية ، ولم يرض أحد من المسلمين أن يتخلف عن هذه الغزوة إلا الذين في قلوبهم مرض من المنافقين ، وإلا ثلاثة نفر- سوف نتحدث عنهم لاحقاً - حتى كان يجيء أهل الفقر والحاجة يطلبون من النبي ﷺ أن يحملهم معه ليخرجوا إلى قتال الروم ، فإذا قال لهم : لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً .

نماذج من تسابق الصحابة رضي الله عنهم في الإنفاق على الجيش :

كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه أول من حمل صدقته ، حيث جاء بماله كله أربعة آلاف درهم ، فقال له رسول الله ﷺ : « هل أبقيت لبناتك شيئاً ؟ » قال : « أبقيت لهم الله ورسوله » ، وجاء عمر بن الخطاب رضي الله عنه بنصف ماله ، فقال له رسول الله ﷺ : «هل أبقيت شيئاً ؟ قال : نعم ، نصف مالي جئت به ، وبلغ عمر رضي الله عنه ما جاء به أبو بكر رضي الله عنه فقال : « ما استبقنا إلى خير إلا سبقني إليه » ، وحمل العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه مالاً يقال : إنه تسعون ألفاً ، وحمل طلحة بن عبيدالله رضي الله عنه مالاً ، وحمل عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه مائتي أوقية ، وجهز عثمان بن عفان رضي الله عنه ثلث ذلك الجيش ، فكان من أكثرهم نفقةً ، كما جاء بألف دينارٍ ففرَّغها في حجر النبي ﷺ ، قال : فجعل النبي ﷺ يقلبها ويقول :

« ماضر عثمان ما عمل بعد هذا اليوم » قالها مراراً .[1]

ورغب ﷺ أهل الغنى في الخير والمعروف ، فتسابق المسلمون في ذلك حتى إن الرجل ليأتي بالبعير إلى الرجل والرجلين فيقول : هذا البعير بينكما تعتقبانه ، ويأتي الرجل بالنفقة فيعطيها بعض من يخرج ، وأتت النساء بكل ما قدرن عليه ، فكن يلقين في ثوب مبسوط بين يدي النبي ﷺ ، الخلاخل ، والأقرطة ، والخواتيم وأنواع مختلفة من الحلي .[2]

دور المنافقين عند التجهز لغزوة تبوك :

أما أهل النفاق ومن كان في قلوبهم مرض ، فلم يأتوا بشيء ، وأخذوا يسخرون من الصحابة رضي الله عنهم ، ويستهزئون ممن شارك وتصدق ، فمن جاء بمال كثير قالوا : ما جاء به إلا رياءً وسمعةً ، ومن جاء بمال قليل همزوه ولمزوه ، وقالوا له : إن الله ورسوله غني عن ما جئت به ، فأنزل الله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَلۡمِزُونَ ٱلۡمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهۡدَهُمۡ فَيَسۡخَرُونَ مِنۡهُمۡ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنۡهُمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ

(١) رواه الحاكم في المستدرك وقال : حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، وقال الذهبي حديث صحيح (٣/ ١١٠)
(٢) السيرة النبوية والدعوة في العهد المدني (ص : ٦١٩)

أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ﴾[1]

كما سارع بعض المنافقين بالخروج مع المسلمين ؛ لتثبيط همتهم ، ونشر الذعر بينهم ، وحتى لا يتهموا بالقعود والنكوص ، وظنوا أن بمقدورهم القعود بالجيش كله من الغزو ؛ ولذلك ناقشوا كثيراً في التخلف ، وأكثروا من الحلف وهم كاذبون ، وأخذوا يسعون لإضعاف عزائم المسلمين مرة ببعد المسافة ، وأخرى بقسوة الحر ، وقد ذكر الله تعالى قولهم :﴿وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلْحَرِّ﴾[2] ، وثالثة بوعورة الطريق ، ورابعة بقوة الروم ، حتى قال بعضهم على سبيل السخرية من النبي ﷺ ، ومن معه من المؤمنين : أتحسبون جِلاد بني الأصفر كقتال العرب ، والله لكأننا بكم غداً مقرنين بالحبال[3]

الجيش الإسلامي يتحرك إلى تبوك :

أكمل الجيش الإسلامي تجهيزاته ، وترك النبي ﷺ في حراسة أهله علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وأمره بالإقامة فيهم فعاب عليه المنافقون ، فخرج فلحق برسول الله ﷺ ، فَقَالَ : أتخلفني في الصبيان والنساء ؟ قال : « ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه ليس نبي بعدي »[4]

غـــزوة تبـــوك

(١) سورة التوبة :٧٩
(٢) سورة التوبة :٨١
(٣) السيرة النبوية والدعوة في العهد المدني (ص : ٦٢٦)
(٤) رواه البخاري/ باب غزوة تبوك وهي غزوة العسرة (٦/ ٣)

ثم تحرك رسول الله ﷺ يوم الخميس باتجاه تبوك ، ولكن الجيش كان كبيراً – ثلاثون ألف مقاتل ، لم يخرج المسلمون في مثل هذا الجمع الكبير قبله قط – فلم يستطع المسلمون مع ما بذلوه من الأموال أن يجهزوه تجهيزاً كاملاً ، بل كانت في الجيش قلة شديدة بالنسبة إلى الزاد والظهر – من خيل أو إبل – ، فكان ثمانية عشر رجلاً يعتقبون بعيراً واحداً ، وربما أكلوا أوراق الأشجار حتى تورمت شفاههم ، ويقال : إن الرجلين كانا يشقان التمرة بينهما ، وكان النفر يتناولون التمرة بينهم يمصها هذا ، ثم يشرب عليها ، ثم يمصها هذا ، ثم يشرب عليها [1] وربما يضطرون إلى ذبح البعير ؛ ليشربوا ما في بطنه من الماء .

من معجزات النبي ﷺ في غزوة تبوك :

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال : خرجنا إلى تبوك في قَيظ شديد ، فنزلنا منزلاً وأصابنا فيه عطش ، حتى ظننا أن رقابنا ستنقطع ، حتى إن كان أحدنا ليذهب فيلتمس الرحل فلا يرجع حتى يظن أن رقبته ستنقطع ، حتى إنَّ الرجل لينحر بعيره فيعتصر فرْثه فيشربه ، ثم يجعل ما بقي على كبده ، فقال أبو بكر الصديق : يا رسول الله إن الله قد عودك في الدعاء خيراً ، فادع الله لنا ، فقال : أتحب ذلك ؟ قال : نعم ، قال : فرفع يديه نحو السماء ، فلم يرجعها حتى قالت السماء فأظلت ثم سكبت ، فملئوا ما معهم ، ثم ذهبنا ننظر فلم نجدها جاوزت العسكر .[2]

ولاشك أن حدوث مثل هذه المعجزة مع النبي ﷺ في هذه اللحظات العصيبة رحمة من الله تعالى للمؤمنين وتطمين لقلوبهم ؛ ليثبتهم عند مواجهة الأعداء ، ويملأهم ثقةً في نصره تعالى .

---

(١) السيرة النبوية الصحيحة محاولة لتطبيق قواعد المحدثين في نقد روايات السيرة النبوية (٢/ ٥٢٤)

(٢) إسناده جيد : أخرجه البيهقي في « الدلائل » ٥/ ٢٣١ ، قال ابن كثير في «البداية والنهاية» ٥/ ٧٤ : إسناده جيد . وينظر/ الأغصان الندية بترتيب أحداث السيرة النبوية (ص : ٥٠١)

الجيش الإسلامي بتبوك :

نزل الجيش الإسلامي بتبوك ، فعسكر هناك ، وهو مستعد للقاء العدو ، وقام رسول الله ﷺ فيهم خطيباً ، فخطب خطبةً بليغةً ، أتى بجوامع الكلم ، وحض على خير الدنيا والآخرة ، حتى رفع معنوياتهم ، وجبر بها ما كان فيهم من النقص والخلل من حيث قلة الزاد والمادة والمؤنة .

وتم حشد قوات الروم والقبائل العربية الموالية لهم في تبوك قبل وصول المسلمين إليها ، ولكنّ المعلومات التي وصلتهم عن ضخامة جيش المسلمين وارتفاع معنوياتهم ، جعلت الرعب يملأ قلوبهم ، وبمجرد أن سمعوا بزحف رسول الله ﷺ ، إلا وأخذهم الرعب فلم يجترئوا على التقدم واللقاء ، بل تفرقوا في البلاد في داخل حدودهم ، ولم يجرؤوا على قتال المسلمين ، فكان لذلك أحسن الأثر على سمعة المسلمين العسكرية ، في الجزيرة العربية كلها ، وحصل المسلمون بذلك على مكاسب سياسية كبيرة وخطيرة ، بما لم يكونوا يحصلون عليها لو وقع قتال بين الجيشين .

ما يستفاد من الدرس :

١ – بيان حكمة النبي ﷺ في عزمه على مواجهة الروم قبل دخولهم ديار الإسلام .

٢ – إيجابية الصحابة وسرعة الاستجابة لأمر الجهاد بالنفس والمال .

٣ – ضرورة الحذر من المنافقين ومؤامراتهم ضد الإسلام .

٤ – تحمل الصحابة رضي الله عنهم لمشقة السفر وصعوبات الطريق طلباً لرضى الله تعالى .

٥ – خوف قوات الروم من مواجهة المسلمين وانسحابهم قبل المعركة .

٦ – حدوث العديد من المعجزات في غزوة تبوك على يد النبي ﷺ .

التقويم

س١ : اختر المكمل الصحيح مما بين القوسين بوضع خط تحته فيما يأتي :

١ـ سمِّيت غزوة تبوك بغزوة : (الروم – العسرة – الشدَّة)

٢ـ وقعت غزوة تبوك في صيف عام : (٧هـ –٨هـ –٩هـ)

٣ـ تصدَّق أبوبكر الصديق رضي الله عنه في غزوة تبوك بـ : (ثلث ماله – نصف ماله – ماله كله)

٤ـ كان عدد جيش المسلمين في غزوة تبوك : (ثلاثين ألفاً – أربعين ألفاً –عشرين ألفاً)

س٢ : علل ما يأتي :

١ـ توزيع هرقل الكثير من الأموال على القبائل الخاضعة لسيطرته قبل غزوة تبوك :

.....

٢ـ عدم إخفاء النبي ﷺ مقصده عند خروجه في غزوة تبوك :

.....

٣ـ مسارعة المنافقين بالخروج إلى ثنية الوداع قبل غزوة تبوك :

.....

س٣ : تمم العبارات الآتية بما يناسبها مما بين القوسين فيما يأتي :

(نصف – الحلف – سرعة – الرعب – ثلث)

١ـ من صفات المنافقين : الإكثار من ..... وهم كاذبون .

٢ـ أظهر الصحابة رضي الله عنهم في غزوة تبوك ..... في الاستجابة لنداء الجهاد .

٣ـ جاء عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى النبي ﷺ في غزوة تبوك بـ ..... ماله .

٤ـ ألقى الله تعالى ..... في قلوب الرومان قبل وصول جيش المسلمين إليهم .

س٤ : صوِّب ما تحته خط فيما يأتي :

١ـ جهَّز عثمان بن عفان رضي الله عنه نصف الجيش في غزوة تبوك .

[. . . . .]

٢ـ الذي تركه النبي ﷺ ليحرس أهله في غزوة تبوك عمر بن الخطاب رضي الله عنه

[. . . . .]

س٥ : انسب العبارات الآتية إلى قائليها :

١- « ما استبقنا إلى خير إلا سبقني إليه» .

القائل (. . . . .)

٢ - « ما ضر عثمان ما عمل بعد هذا اليوم» .

القائل (. . . . .)

الوحدة الرابعة

١- تابع غزوة تبوك .

٢- عام الوفود (٩ هـ) وأهم الأحداث فيه .

٣- حجة الوداع .

٤- مرض النبي ﷺ ووفاته .

الدرس الثالث عشر

تابع غزوة تبوك

تمهيد :

أقام المسلمون حوالي عشرين يوماً في منطقة تبوك ، انتظاراً لعودة جيوش الروم ، فلم يرجعوا للقتال ، ومن ثَمّ فقد أخذ النبي ﷺ يعقد معاهدات صلح مع زعماء القبائل العربية في هذه المناطق الحدودية ؛ لتأمين الحدود الشمالية ، ولدعم هيبة المسلمين في نفوس القبائل هناك ، والعمل على حماية حرية نشر الدعوة في تلك البقاع .

مصالحات مع زعماء القبائل حول تبوك :

صالح النبي ﷺ « يحنة بن رؤبة » صاحب أيلة[1] وأعطاه الجزية ، وأتاه أهل « جرباء » وأهل « أذرح » ، فأعطوه الجزية ، وكتب لهم رسول الله ﷺ كتاباً فهو عندهم ، كما صالح « أكيدر بن عبد الملك » زعيم دومة الجندل ، والتزم للنبي ﷺ بإعطاء الجزية ، وهكذا أيقنت القبائل التي كانت تعمل لحساب الرومان أن اعتمادها على سادتها الأقدمين قد فات أوانه ، ولا مفر أمامها من مصالحة المسلمين ، وهكذا توسعت حدود الدولة الإسلامية ، حتى تلاقت مع حدود الرومان مباشرةً[2] .

مرور الجيش الإسلامي من الحجر (ديار ثمود) :

في طريق تبوك مر الجيش الإسلامي بالحجر – أرض ثمود – ، فاستقوا من آبارها وعجنوا به العجين ، فأمرهم رسول الله ﷺ أن يهريقوا ما استقوا ، ويعلفوا الإبل العجين ، وأمرهم أن يستقوا من البئر التي كانت تردُها الناقة[3] وروي أنه ﷺ لَما مر بالحجر قال : « لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم ، أن يصيبكم ما أصابهم ، إلا أن تكونوا باكين ، ثم قنع رأسه

---

(١) أيلة بفتح الهمزة وسكون الياء مدينة على البحر الأحمر مما يلي الشام وهي من بلاد الشام .
(٢) ينظر/ الأغصان الندية شرح الخلاصة البهية بترتيب أحداث السيرة النبوية أبو أسماء محمد بن طه (ص : ٥٠٧)
(٣) متفق عليه ، رواه البخاري (رقم ٣٣٧٩) ، ومسلم (رقم ٢٩٨١)

وأسرع السير حتى أجاز الوادي »[1]

نزول الوحي بخبر مسجد الضرار والأمر بهدمه :

في أثناء عودة النبي ﷺ والمسلمين من تبوك ، وقبل دخول المدينة ، نزل الوحي ليخبر النبي ﷺ بخبر مسجد الضرار ، وقصة هذا المسجد هي : أن جماعة من المنافقين كانوا قد اتفقوا فيما بينهم على بناء مسجد يتخذونه ستاراً ، ويدبرون فيه المكائد والمؤامرات ضد الإسلام والمسلمين ، فشرعوا في بناء مسجد قريب من مسجد قباء ، وفرغوا منه قبل خروج رسول الله ﷺ إلى تبوك ، وجاؤوا فسألوا رسول الله ﷺ أن يأتي إليهم فيصلي في مسجدهم ؛ ليحتجوا بصلاته فيه على تقريره وإثباته ، مدَّعين أنهم بنوه للضعفاء والمرضى ، فعصم الله تعالى رسوله ﷺ من الصلاة فيه ، فلما رجع النبي من تبوك ، ولم يبق بينه وبين المدينة إلا يوم أو بعض يوم ، نزل عليه جبريل عليه السلام بخبر مسجد الضرار مبيِّناً مقصد أهل النفاق من بنائه ، فبعث رسول الله ﷺ إلى ذلك المسجد مَن هدمه قبل مقدمه إلى المدينة[2] ، ونزل قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسۡجِدٗا ضِرَارٗا وَكُفۡرٗا وَتَفۡرِيقَۢا بَيۡنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَإِرۡصَادٗا لِّمَنۡ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبۡلُۚ وَلَيَحۡلِفُنَّ إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّا ٱلۡحُسۡنَىٰۖ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ١٠٧ لَا تَقُمۡ فِيهِ أَبَدٗاۚ لَّمَسۡجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقۡوَىٰ مِنۡ أَوَّلِ يَوۡمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِۚ فِيهِ رِجَالٞ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُطَّهِّرِينَ ١٠٨ ﴾[3]

محاولة المنافقين قتل رسول الله ﷺ :

حاول أعداء الإسلام في مرات كثيرة أن يقتلوا رسول الله ﷺ ، ولكن الله تعالى حفظه من كيدهم ومكرهم ليتم نوره ويكمل دينه ، رحمةً للعالمين قال تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾[4]

(١) رواه البخاري/ باب نزول النبي ﷺ الحجر (٦/ ٧)
(٢) فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة محمد سعيد رمضان (٣١٢)
(٣) سورة التوبة : ١٠٧-١٠٨
(٤) سورة المائدة : ٦٧

كانت المحاولة في هذه المرة من المنافقين ، وذلك أن الأمور لما تمت في تبوك على أفضل ما يكون ، وتحولت إلى دعاية إسلامية صادقة ، ولم تكن معركة ولا هزيمة ينفث المنافقون من خلالها سمومهم ضد الإسلام ، ووجدوا النبي ﷺ راجعاً بالجيش الإسلامي ، في انتصار وأمن وسلام ، تآمر بعض المنافقين على الرسول ﷺ محاولين أن يطرحوه من عقبة عالية في الطريق ، ولكن الله تعالى أعلمه بما دبروا .

فلما بلغوا العقبة التي كانوا يريدون طرح النبي ﷺ من عليها ، أمر النبي ﷺ الجند أن يسيروا في بطن الوادي ، وقال : « من شاء منكم أن يأخذ بطن الوادي ، فإنه أوسع لكم »[1] .

ولكن هؤلاء المنافقين تلثموا وأخفوا وجوههم لكيلا يُعرفوا ، فأمر رسول الله ﷺ أن يلازمه عمار بن ياسر ، وحذيفة بن اليمان رضي الله عنهما ، وأن يمشيا أمامه ، على أن يأخذ عمار بن ياسر رضي الله عنه بزمام الناقة ، وأمر حذيفة رضي الله عنه بسوقها ، وسمع النبي ﷺ والصحابة صوت المنافقين ، وأَطْلَع الله تعالى نبيه ﷺ بما يريدون ، وظن المنافقون أنهم مُدْرِكون ما يريدون ولكن الله تعالى حافظ نبيه ﷺ ، فأمر رسول الله ﷺ حذيفة رضي الله عنه ، وهو الذى يسوق الدابة أن يردهم ، وأبصر حذيفة رضي الله عنه غضب رسول الله ﷺ ، وبدا ما يتوقعه النبي ﷺ من شرهم في وجهه ، فرجع حذيفة رضي الله عنه ، فوجدهم ملثمين ، واستقبل وجوه رواحلهم فضربها فى وجوهها بالمجن ضرباً ، ففزعوا واضطربوا بإفزاع الله تعالى لهم ، ورجع الملثمون المتآمرون إلى الاندماج في وسط الناس في بطن الوادي وأبطل الله تعالى كيدهم ، ثم أخبر النبي ﷺ حذيفة رضي الله عنه بخبرهم قائلاً : فإنهم مكروا ليسيروا ورائي ، حتى إذا طلعت إلى العقبة طرحوني منها ، قال : إذن نضرب أعناقهم ، قال : أكره أن يتحدث الناس ، أن يقولوا : إن محمداً قد وضع يده في أصحابه (أي بالقتل)[2] .

(١) الصحيح من أحاديث السيرة النبوية/ أبو عمر ، محمد بن حمد الصوياني (ص : ٥٢٣)
(٢) ينظر/ خاتم النبيين ﷺ (٣/ ٩٦٨)

فرح النبي ﷺ والصحابة رضي الله عنهم بالعودة إلى المدينة :

لما لاحت للنبي ﷺ معالم المدينة من بعيد قال : «هذه طابة ، وهذا أُحد ، جبل يحبنا ونحبه » وتسامع الناس بمقدمه ، فخرج النساء والصبيان والولائد يقابلن الجيش بحفاوة بالغة ويقلن :

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا ما دعا لله داع

وكان خروجه ﷺ إلى تبوك في رجب وعودته في رمضان ، واستغرقت هذه الغزوة خمسين يوماً ، أقام منها عشرين يوماً في تبوك ، والبواقي قضاها في الطريق ذهاباً ورجوعاً ، وكانت هذه الغزوة آخر غزواته ﷺ [1] .

المخلفون عن غزوة تبوك :

انقسم الناس الذين دعاهم النبي ﷺ للخروج إلى تبوك إلى أقسام :

القسم الأول : المسلمون الصادقون المبادرون إلى تنفيذ أمر الله ورسوله ﷺ وهم الذين قال الله تعالى فيهم : ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ ﴾[2] .

القسم الثاني : من تخلفوا عن رسول الله ﷺ من المنافقين وضعاف الإيمان وهؤلاء جاءوا وأخذوا يبدون أعذارهم في التخلف عن الغزوة ، وكان منهم كاذبون لا محالة ، قال الله تعالى فيهم : ﴿ سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ إِنَّهُمْ رِجْسٌ ۖ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ ﴾[3]

القسم الثالث : أصحاب الأعذار الحقيقية من مرض أو ضعف أو لا يجدون

---

(١) الرحيق المختوم (ص : ٣٧١)
(٢) سورة التوبة : ١١٧
(٣) سورة التوبة : ٩٥

ظهراً يحملهم ، فكان عذرهم بادياً ، وقد أسقط الله تعالى عنهم الحرج بقوله : ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾[1] وعن أنس بن مالك ﷺ ، أن رسول الله ﷺ رجع من غزوة تبوك فدنا من المدينة ، فقال : « إن بالمدينة أقواماً ، ما سرتم مسيراً ، ولا قطعتم وادياً إلا كانوا معكم » ، قالوا : يا رسول الله ، وهم بالمدينة؟ قال : « وهم بالمدينة ، حبسهم العذر »[2] .

القسم الرابع : الثلاثة الذين خلفوا من المؤمنين الصادقين :

كان هؤلاء الثلاثة ممن أخلصوا دينهم لله تعالى ، ولكنهم تخلفوا من غير عذر ، ولم يرتضوا الكذب على النبي ﷺ ، وعلموا أن من الخير لهم أن يعترفوا بتقصيرهم عن أن يكذبوا على رسول الله ﷺ ، ولقد كان هؤلاء الثلاثة من أقوياء الإيمان ، ولكن غلب عليهم حب الراحة والقعود ساعة التجهيز لخروج الجيش ، هؤلاء الثلاثة هم : كعب بن مالك ، ومرارة بن الربيع ، وهلال بن أمية ﷺ ، فأمر رسول الله ﷺ الصحابة أن لا يكلموهم ، وجرت ضد هؤلاء الثلاثة مقاطعة شديدة ، وتغيّر لهم الناس ، حتى تنكرت لهم الأرض ، وضاقت عليهم الأرض بما رحبت ، وضاقت عليهم أنفسهم ، وبلغت بهم الشدة أنهم بعد أن قضوا أربعين ليلة من بداية المقاطعة أُمروا أن يعتزلوا نساءهم ، حتى تمت على مقاطعتهم خمسون ليلة ، ثم أنزل الله توبتهم ، قال تعالى : ﴿ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ

---

(١) سورة التوبة : ٩١-٩٢

(٢) رواه البخاري

ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ ﴾[1]

وفرح المسلمون لقبول الله تعالى توبتهم ، وفرح الثلاثة فرحاً لا يقاس مداه وغايته .

ما يستفاد من الدرس :

١ – تأمين حدود الدولة الإسلامية بعقد المصالحات مع زعماء القبائل حول تبوك .

٢ – نزول الوحي بخبر مسجد الضرار والأمر بهدمه حتى لا تدبر فيه المؤامرات .

٣ – عصمة الله تعالى لنبيه ﷺ من كيد المنافقين ومؤامراتهم لقتله .

٤ – فرح النبي ﷺ والصحابة رضي الله عنهم بالعودة إلى المدينة بعد غزوة تبوك .

٥ – تفضل الله تعالى بإثابة أصحاب الأعذار الحقيقية لصدق نياتهم .

٦ – بيان فضل الصدق وأثره في قبول توبة الثلاثة الذين تخلفوا في غزوة تبوك .

(١) سورة التوبة : ١١٨

التقويم

س١ : ضع علامة (√) مقابل العبارة الصحيحة وعلامة (X) مقابل العبارة غير الصحيحة فيما يأتي :

١ـ أقام المسلمون في تبوك ثلاثين يوماً . ( )

٢ـ كانت غزوة تبوك آخر غزوات النبي ﷺ . ( )

٣ـ قاطع المسلمون الثلاثةَ الذين خلِّفوا في غزوة تبوك أربعين يوماً . ( )

٤ـ التزم « يحنة بن رؤبة » بإعطاء الجزية للنبي ﷺ بعد مصالحته . ( )

س٢ : أجب عما يأتي :

١ـ ما اسم المسجد الذي اتَّخذه المنافقون لتدبير المؤامرات ضد المسلمين؟

.....

٢ـ اكتب أقسام الناس الذين دعاهم النبي ﷺ للخروج في غزوة تبوك :

- .....
- .....
- .....

س٣ : ضع الرقم المناسب من المجموعة (أ) أمام ما يناسبه من المجموعة (ب) في الجدول الآتي :

الرقم	المجموعة (أ)	الرقم	المجموعة (ب)
١	في طريق تبوك مرَّ النبي ﷺ :		عن طريق الوحي .
٢	استغرقت غزوة تبوك :		مرارة بن الربيع .
٣	من الثلاثة الذين خلِّفوا :		بالحِجر « أرض ثمود» .
٤	علم النبي ﷺ بخبر مسجد الضرار :		عشرين يوماً .
			خمسين يوماً .

س٤ : من الشخصية المقصودة فيما يأتي :

١- زعيم دومة الجندل أقرَّ بإعطاء الجزية وصالحه النبي ﷺ .

(.....)

س٥ : انسب العبارة الآتية إلى قائلها :

« فإنهم مكروا ليسيروا ورائي »

القائل : (.....)

الدرس الرابع عشر

عام الوفود (٩هـ) و أهم الأحداث فيه

تمهيد

بعد هذه الانتصارات المتتابعة التي حققها النبي ﷺ والمسلمون سواء على الصعيد الداخلي في الجزيرة العربية ، أو على الصعيد الخارجي في مواجهة الرومان ، لم يعد أمام القبائل العربية إلا المبادرة الشاملة إلى اعتناق الإسلام ، وإعلان السمع والطاعة للنبي ﷺ ؛ ونظراً لكثرة الوفود التي قدمت إلى المدينة ، بعد عودة النبي ﷺ من تبوك لتعلن إسلامها ، فقد سمي العام التاسع للهجرة بعام الوفود[١] .

ولقد اشتمل هذا العام « عام الوفود » على العديد من الأحداث والترتيبات الإدارية الهامة في الدولة الإسلامية نذكر منها على سبيل الإيجاز :

أولاً : إتيان الوفود إلى النبي ﷺ لإعلان الإسلام :

تعددت الوفود القادمة إلى المدينة لإعلان إسلامها ، أو للمصالحة والإذعان لسلطان الدولة الجديدة وقائدها النبي محمد ﷺ ، وكان من بين هذه الوفود : وفد عبد قيس ، ووفد ضمامة بن ثعلبة عن قومه بني سعد بن بكر ، ووفد نصارى نجران ، وغيرها الكثير من الوفود التي لا يمكن سردها في هذا الإيجاز ، ولكن نختار منها وفد ثقيف للحديث عنه بشيء من التفصيل .

ثقيف ترسل وفداً إلى المدينة بعد قتل عروة بن مسعود رضي الله عنه :

لما انصرف رسول الله ﷺ عن ثقيف ، ورفع الحصار عنهم بعد غزوة حنين ، اتبع أثره عروة بن مسعود الثقفي رضي الله عنه حتى أدركه قبل أن يصل المدينة ، فأسلم ، وسأل النبي ﷺ أن يرجع إلى قومه بالإسلام ، فقال له رسول الله ﷺ : إنهم قاتلوك ، فقال عروة : يا رسول

(١) السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث (ص : ٨٥٠) وينظر/ دراسة في السيرة (ص : ٢١٥)

الله أنا أحب إليهم من أبكارهم ، وكان فيهم محبَّباً مطاعاً ، فخرج يدعو قومه إلى الإسلام رجاء ألا يخالفوه لمنزلته فيهم ، فلما أشرف عليهم دعاهم إلى الإسلام ، فرموه بالنبل ، فأصابه سهم فقتله ، فقيل لعروة : ما ترى في دمك ؟ قال : كرامة أكرمني الله تعالى بها وشهادة ساقها الله إلي»[1] .

أدرك مشركو ثقيف أنهم أجرموا جرماً كبيراً بقتلهم عروة بن مسعود رضي الله عنه ، ثم إنهم رأوا أنه لا طاقة لهم بحرب النبي ﷺ ومن حولهم من العرب الذين أسلموا ، فأجمعوا أمرهم على أن يرسلوا رجالاً إلى النبي ﷺ .

النبي ﷺ يستقبل وفد ثقيف :

قدم على النبي ﷺ وفد من ثقيف في شهر رمضان ، بعد رجوعه من تبوك سنة تسع من الهجرة ، وكان الوفد يتكون من ستة وعلى رأسهم جميعاً عبد ياليل بن عمرو ، و كان الصحابة رضي الله عنهم يعرفون اهتمام الرسول ﷺ بإسلام ثقيف ؛ ولذلك ما إن ظهر وفد ثقيف قرب المدينة ، حتى تنافس كل من أبي بكر والمغيرة رضي الله عنهما على أن يكون هو البشير بقدوم الوفد للرسول ﷺ ، وتنازل المغيرة لأبي بكر رضي الله عنهما[2] .

استقبل الرسول ﷺ وفد ثقيف استقبالاً كريماً ، وبنى لهم خياماً ؛ كي يسمعوا القرآن ، ويروا المسلمين إذا صلوا ؛ فيتأثروا بالقرآن ، وترق قلوبهم لرؤية شعائر الإسلام ، وكانت ضيافتهم على رسول الله ﷺ ، وكانوا يفدون عليه كل يوم ، فمكثوا على هذا أياماً يغدون على النبي ﷺ كل يوم ، يخلفون عثمان بن أبي العاص على رحالهم ، وكان أصغرهم ، فكان إذا رجعوا إليه وناموا بالهاجرة خرج فعمد إلى النبي ﷺ فسأله عن الدين واستقرأه القرآن ، وأسلم سرّاً من أصحابه ، فاختلف إلى النبي ﷺ مراراً حتى تفقه في أمور الدين ، وسمع القرآن ، وقرأ من القرآن سوراً سمعها من فم رسول الله ﷺ فإذا وجد رسول الله ﷺ

(١) المنهج الحركي للسيرة النبوية (٣/ ١٧٤)
(٢) السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث (ص: ٨٥١)

نائماً عمد إلى أبي بكرٍ رضي الله عنه فسأله واستقرأه ، وكان عثمان بن أبي العاص يكتم ذلك عن أصحابه ، وأعجب رسول الله ﷺ به ، وأحبه[١] .

شروط ثقيف لدخول الإسلام ورفض النبي ﷺ لهذه الشروط :

تأثر وفد ثقيف بالإسلام وبحسن معاملة النبي ﷺ لهم ، ولكن مازالت في نفوسهم بعض آثار الجاهلية ، فأرادوا أن يطلبوا بعض المطالب ، ويشترطوا بعض الشروط المخالفة لتعاليم الإسلام ، قبل إعلان إسلامهم ، ولكن النبي ﷺ رفض هذه المطالب كلها ، و كان من أهم مطالبهم :

١ – طلبوا أن يعفيهم النبي ﷺ من الصلاة[٢] فأبى النبي ﷺ وقال : « لا خير في دين ليس فيه ركوع »[٣]

٢– طلبوا أن يرخص لهم النبي ﷺ في الزنا ، فقال لهم النبي ﷺ : « هو مما حرم الله على المسلمين» قال تعالى : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ ﴾[٤] .

٣– طلبوا أن يحل لهم النبي ﷺ الربا ، فقالوا : أرأيت الربا ؟ قال : « الربا حرام » قالوا : فإن أموالنا كلها ربا ، قال : « لكم رءوس أموالكم » : قال تعالى : ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ ﴾[٥]

٤ – طلبوا أن يبيح لهم النبي ﷺ الخمر فقالوا : أفرأيت الخمر؟ فإنها عصير أعنابنا ، لابد لنا منها .

---

(١) مغازي الواقدي (٣/ ٩٦٦)
(٢) الروض الأنف (٧/ ٤١٧)
(٣) رواه أبو داود في السنن وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط صحيح لغيره .
(٤) سورة الإسراء : ٣٢
(٥) سورة البقرة :٢٧٩

قال : « فإن الله قد حرمها » ثم تلا رسول الله ﷺ هذه الآية : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٩٠﴾ (١)

٥ – طلبوا من النبي ﷺ ترك صنم « اللات » الذي كانوا يعبدونه ويقولون له « الربة » فقالوا : أرأيت الربة ماذا نصنع فيها ؟ قال : « اهدموها » ، قالوا : هيهات ! لو تعلم الربة أنا نريد هدمها لقتلت أهلنا ، فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : ويحك يا بن عبد ياليل ما أحمقك إنما الربة حجر ، قال : إنا لم نأتك يا ابن الخطاب . ثم قال : يا رسول الله ، تول أنت هدمها ، فأما نحن فلن نهدمها أبداً ، قال رسول الله ﷺ : « فسأبعث إليكم من يكفيكم هدمها » ، قال كنانة : ائذن لنا قبل رسولك ثم ابعث في آثارنا ، فإني أعلم بقومي ، فأذن لهم رسول الله ﷺ وأكرمهم ، قالوا : يا رسول الله ، أمِّر علينا رجلاً يؤمنا ، فأمّر عليهم عثمان بن أبي العاص ؛ لما رأى من حرصه على الإسلام و كان قد تعلم بعض سور القرآن(٢) .

لقد تأثر الوفد من معاملة النبي ﷺ ومن اختلاطهم بالمسلمين فأسلموا حتى إنهم صاموا ما بقي عليهم من شهر رمضان ، ومكثوا في المدينة خمسة عشر يوماً ، ثم رجعوا إلى الطائف (٣) .

النبي ﷺ يرسل الصحابة لهدم صنم اللات (الربة) :

نجحت مساعي الوفد في إقناع ثقيف بالدخول في الإسلام ، وبعد رجوعهم جهّز رسول الله ﷺ سرية بقيادة خالد بن الوليد ، وبمشاركة المغيرة بن شعبة وأبي سفيان بن حرب رضي الله عنهم وبعثهم في أثر الوفد ، فلما وصلت السرية إلى الطائف ، دخل المغيرة بن شعبة في بضعة عشر رجلاً يهدمون « الربة » ، وخرجت ثقيف عن بكرة أبيها رجالها ونساؤها وصبيانها حتى الأبكار من خدورهن ، وكانوا – لقرب عهدهم بالشرك – لا ترى عامة ثقيف أنها مهدومة

(١) سورة المائدة : ٩٠
(٢) الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله ﷺ والثلاثة الخلفاء (١/ ٥٦٦)
(٣) السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث (ص : ٨٥٣)

ويظنون أنها ممتنعة[1] ، وكان المغيرة رجلاً فيه دعابة ، فقال لأصحابه : والله لأضحكنكم من ثقيف ، فضرب بالفأس ثم سقط يركض ، فارتج أهل الطائف بصيحة واحدة وقالوا : أبعد الله المغيرة فقد قتلته الربة ، وفرحوا حين رأوه ساقطاً وقالوا مخاطبين أفراد السرية : من شاء منكم فليقترب وليجتهد على هدمها ، فوالله لا تستطيع أبداً ، فوثب المغيرة بن شعبة ، وقال : قبحكم الله يا معشر ثقيف ! إنما هي لكاع حجارة ومدر ، فاقبلوا عافية الله واعبدوه[2] وأكمل المغيرة بن شعبة ﷺ ومن معه هدم الصنم « الربة » حتى سووها بالأرض ، فبهتت ثقيف ، وأدركت الواقع الذي كانت تحجبه غشاوة الكفر عن أعينهم .

لقد تخلص الناس من هذا الصنم ، ثم أقاموا مكانه مسجداً ، تقام فيه شعائر الإسلام ، يوحد فيه الرب الذي لا إله إلا هو ، وذلك بتوجيه كريم من رسول الله ﷺ إلى عثمان بن أبي العاص ﷺ عامله على الطائف حيث أمره « بأن يجعل مسجد الطائف حيث كان طاغيتهم »[3] – أي صنمهم – .

ثانياً : حج أبي بكر ﷺ بالناس عام الوفود ٩هـ :

كانت تربية المجتمع وبناء الدولة في عصر النبي ﷺ مستمرة في كل الجوانب والمجالات : العقائدية والاقتصادية ، والاجتماعية ، والسياسية ، والعسكرية ، والتعبدية .

ولقد كان الحج إلى بيت الله الحرام مما ورثه العرب عن إبراهيم عليه السلام ، فكان من بقايا الحنيفية التي ما زالوا محافظين عليها ، إلا أن كثيراً من أدران الجاهلية وأباطيل الشرك قد تسلل إليه ، حتى غدا مظهراً من مظاهر الشرك أكثر من أن يكون عبادة قائمة على عقيدة التوحيد .

---

(١) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (٦/ ٢٢٦)
(٢) دلائل النبوة للبيهقي (٥/ ٣٠٣)
(٣) السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث (ص :٨٥٤)

ولقد كان بعض المشركين يحجون مع المسلمين ، ويعارضهم المشركون بإعلاء أصواتهم ليغلطوهم بذلك ، فيقولون : « لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك » ، وكان رجال منهم يطوفون عراةً ليس على رجل منهم ثوب ، يرون ذلك تعظيماً للبيت ! وربما قال أحدهم : « أطوف بالبيت كما ولدتني أمي ، ليس عليّ شيء من الدنيا خالطه الظلم» وظل هذا الجهل إلى نهاية العام التاسع من الهجرة[1]

فلما حل موسم الحج أراد النبي ﷺ الحج ، ولكنه قال : « إنه يحضر البيت عراة مشركون يطوفون بالبيت ، فلا أحب أن أحج حتى لا يكون ذلك »[2] فأرسل النبي ﷺ أبا بكر الصدِّيق رضي الله عنه أميراً على الحج سنة تسع ، فخرج أبو بكر ومعه عدد كبير من الصحابة رضي الله عنهم ، وساقوا معهم الهدي ، فلما خرج الصديق بركب الحجيج نزلت سورة براءة « التوبة » ، فدعا النبي ﷺ عليّاً رضي الله عنه وأمره أن يلحق بأبي بكر الصديق رضي الله عنه ، فخرج على ناقة رسول الله ﷺ ، حتى أدرك الصديق أبا بكر بذي الحليفة ، فلما رآه الصديق قال له : أمير أم مأمور؟ فقال : بل مأمور ، ثم سارا .

وكان الصديق رضي الله عنه يخطب و يُعَرِّف الناس مناسكهم في وقوفهم وإفاضتهم ونحرهم ، ونفرهم ، ورميهم للجمرات ، وكان علي ينادي في الناس بهذه الأمور الأربعة التي نزلت بها سورة براءة :

١ - لا يدخل الجنة إلا مؤمن .

٢ - لا يطوف بالبيت عريان .

٣ - من كان بينه وبين رسول الله ﷺ عهد فعهده إلى مدته .

٤ - لا يحج بعد العام مشرك .

وكان الحجيج من المشركين على قسمين : من لهم عهد ، فإنه يلتزم بعهده إلى نهاية

---

(١) فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة (ص : ٣٠٩)

(٢) السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة (٢/ ٥٣٦)

مدته ، ومن ليس له عهد يؤجل إلى أربعة أشهر ، قال تعالى في أول سورة براءة :

﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَٰهِرُوا۟ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤﴾ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ ﴾ [1] فالآيات تأمر بالوفاء بالعهد لمن أوفوا بعهودهم ، ومن يكونون غير معاهدين ينتظرون أربعة أشهر ، حتى يصلوا إلى مأمنهم في بلادهم ، وليس معنى الوفاء لذوي العهد أن يمكنوا من دخول البيت الحرام وهم باقون على شركهم ، فإن الآية الكريمة صريحة في المنع ، في قوله تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا ﴾ [2][3] ، وكان هذا الإعلان إيذاناً بطهارة المسجد الحرام من مظاهر الشرك والوثنية ، وزوالها إلى غير رجعة ، وكانت حجة أبي بكر بالناس بمثابة التمهيد لحجة النبي ﷺ «حجة الوداع» [4] .

ثالثاً : بعوث رسول الله ﷺ لتعليم مبادئ الإسلام :

كانت الوفود تسعى إلى المدينة لتعلن إسلامها وتنضوي تحت سيادة الدولة الإسلامية ويتعلموا ما شاء الله أن يتعلموه في المدينة قبل رجوعهم إلى موطنهم ، وكان ﷺ يرسل معهم من يعلمهم دينهم ، وشرع النبي ﷺ يبعث دعاته في شتى الجهات ، وانتشر أمر الإسلام في الجزيرة ومختلف أطرافها ، وأصبحت الحاجة داعية إلى معلمين ودعاة ومرشدين يشرحون للناس حقائق الإسلام ؛ لكي تتطهر قلوبهم وتشفى صدورهم من أمراض الجاهلية ، وكانت هذه البعوث كثيرة ، ومن ثم فإننا نذكر منها على سبيل الإيجاز :

(١) سورة التوبة : ٤-٥
(٢) سورة التوبة :٢٨
(٣) خاتم النبيين ﷺ (٣/ ١٠٤٥)
(٤) السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث (ص :٨٦١)

١ – بعث رسول الله ﷺ أبا موسى الأشعري ومعاذ بن جبل رضي الله عنهما إلى اليمن قضاةً وفقهاء ، وأمراء ، وكان من وصايا النبي ﷺ لهما : « يسرا ولا تعسرا ، وبشرا ولا تنفرا وتطاوعا ولا تختلفا »[١] .

رابعاً : ترتيب أمور الإدارة والمال :

إن النظام جزء من هذا الدين ، وداخل في كل أموره ، لأن النظام يجمع الأشتات ، وتحقق به الأهداف والغايات ، فالنظام سمة يتميز بها الإسلام منذ اللحظة الأولى ، ولقد كان النبي ﷺ يترك من يدير المدينة في حالة غيبته عنها ، وكلما فتح منطقة وضع عليها أميراً ، وكانت الوفود تأتي إلى رسول الله ﷺ فيعيّن عليها أميراً من قبله ، وكان يختار عماله من الصالحين وأولي العلم والدين ، وربما يقر النبي ﷺ في بعض الحالات أمراء وملوك القبائل التي أسلمت أو قبلت الجزية .

وكان ﷺ يحاسب عماله ، وكان يحدد ﷺ لبعض عماله رواتب ، وكانت رواتب عماله تتغير بتغير أحوال المعيشة فهي ليست ثابتة ، قال رسول الله ﷺ : « من كان لنا عاملاً فليكتسب زوجة ، وإن لم يكن له خادمٌ فليكتسب خادماً ، ومن لم يكن له مسكنٌ فليكتسب مسكناً»[٢] ، وهذه هي الحاجات الرئيسة لولي الأمر في ذلك الوقت منعاً لأخذ الرشوة ، فتأمل كيف جاء الإسلام بهذه الأمور الإدارية قبل أن تثبتها القوانين الوضعية الحديثة .

---

(١) رواه مسلم/ باب : في الأمر بالتيسير وترك التنفير .
(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين وقال : هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه ج ١ ص :٥٦٣

ما يستفاد من الدرس :

١ – كثرة الوفود إلى النبي ﷺ بعد عودته من غزوة تبوك لتعلن إسلامها .

٢ – حسن استقبال النبي ﷺ لوفد ثقيف وإسماعهم القرآن لترق قلوبهم إلى الإسلام .

٣ – رفض النبي ﷺ مطالب ثقيف لمخالفتها تعاليم الإسلام .

٤ – إرسال النبي ﷺ سرية إلى ثقيف بقيادة خالد بن الوليد لهدم صنم « الربة » .

٥ – طواف بعض المشركين بالبيت وهم عراة جعل النبي ﷺ يؤخر الحج حتى لا يخالطهم .

٦ – اهتمام النبي ﷺ بترتيب أمور الإدارة والمال في الدولة الإسلامية .

التقويم

س١ : أجب بكلمة (نعم) أو كلمة (لا) على كل مما يأتي :

١ـ تأثر وفد ثقيف بالإسلام وبحسن معاملة النبي ﷺ لهم . [.....]

٢ـ مكث وفد ثقيف في المدينة عشرة أيام . [.....]

٣ـ طلب وفد ثقيف من النبي ﷺ أن يرخص لهم في الزنا . [.....]

٤ـ أسلم وفد ثقيف دون أن يعرضوا على النبي ﷺ شروطاً . [.....]

س٢ : أجب عما يأتي :

١ـ متى قدم وفد ثقيف على النبي ﷺ في المدينة ؟

.....

٢ـ لم سمي العام التاسع للهجرة بعام الوفود ؟

.....

٣ـ لماذا أخّر النبي ﷺ الحج في العام التاسع ولم يحج إلا في العام العاشر ؟

.....

س٣ : تمم العبارات الآتية بما يناسبها مما بين القوسين فيما يأتي :

(التوبة – الأنفال – الصلاة – عراة – الرواتب)

١ـ طلب وفد ثقيف من النبي ﷺ أن يعفيهم من .....

٢ـ كان بعض المشركين يطوفون بالبيت وهم .....

٣ـ كان النبي ﷺ يحاسب عماله ، ويحدد لهم .....

٤ـ لما خرج أبوبكر رضي الله عنه بركب الحجيج سنة تسع نزلت سورة .....

س٤ : انسب العبارات الآتية إلى قائليها :

١ـ « كرامة أكرمني الله تعالى بها وشهادة ساقها الله إلي»

القائل (.....)

٢ـ «إنما هي لكاع حجارة ومدر ، فاقبلوا عافية الله واعبدوه »

القائل (.....)

س٥ : من الشخصية المقصودة فيما يأتي :

١- رجل من وفد ثقيف أسلم سرّاً وكتم إسلامه عن قومه .

(.....)

الدرس الخامس عشر

حجة الوداع

تمهيد

رأينا كيف جاءت الوفود من كل جانب من جوانب الجزيرة العربية تعلن إسلامها ، وها هي دعائم الإسلام وشرائعه قد استقرت ، وبيّنها النبي ﷺ بقوله وعمله ، ولم يبق إلا الحج ليبينه ﷺ قولاًوعملاً ، ولقد كان إرسال أبي بكر الصديق رضي الله عنه سنة تسع من الهجرة تمهيداً لحج النبي ﷺ حتى يبين للناس مناسك الحج ، ولينفي عنه ما شابه من بدع الشرك والوثنية ، ومن ثم كان ﷺ يقول : « خذوا عني مناسككم ، لعلّي لا أراكم بعد عامي هذا»[1] وتُسمى هذه الحجة حجة الوداع ؛ لأن النبي ﷺ ودّع المسلمين بهذا القول ، كما تسمى حجة البلاغ ؛ لأنه ﷺ بلّغ الناس شرع الله في الحج قولاً وعملاً ، وذكّرهم بشرائع الإسلام ، وحقوق الإنسان ، وأَشْهَدَ الله تعالى والناس على ذلك .

مكانة الحج وفضله في الإسلام :

الحج أحد أركان الإسلام الخمسة وهو فرض على كل مسلم مستطيع مرة في العمر . وقد جاء الأمر بالحج في قوله تعالى : ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾﴾[2]

وفي الحديث قال رسول الله ﷺ : « بُني الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصيام رمضان ، والحج»[3]

وفي فضائل الحج ورد الكثير من الأحاديث ، منها : قوله ﷺ : « العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما ، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة »[4] .

(١) السيرة النبوية لابن كثير (٤/ ٣٦٧)
(٢) سورة آل عمران :٩٧
(٣) أخرجه البخاري (١/ ٨) ، ومسلم : (١/ ٣٤)
(٤) رواه البخاري/ باب وجوب العمرة وفضلها

الأذان بالحج والخروج له :

في العام العاشر من الهجرة أعلن النبي ﷺ عزمه على الحج ، وهي المرة الوحيدة التي حج فيها بعد الهجرة إلى المدينة[١] ، ولم يكد يحل شهر ذي القعدة من هذا العام حتى أخذ رسول الله ﷺ في التجهز للحج ، وأمر الناس بالتجهز ، فجاء الناس من كل فج وصوب ، من القرى والبوادي ، والسهل والجبل ، مشاةً وركباناً ، تحدوهم الرغبة الصادقة في حج بيت الله الحرام ، كما يدفعهم الحرص على أن يحظوا بشرف مصاحبة الرسول ﷺ ، والنظر إليه ، والسماع منه .

وفي يوم السبت الخامس والعشرين من ذي القعدة خرج رسول الله ﷺ في هذه الألوف المؤلفة بعد أن صلى الظهر بالمدينة ، فلما وصل إلى ذي الحليفة[٢] ، صلّى العصر بها ركعتين ، ثم بات بها ، فلما أصبح اغتسل للإحرام ، وتطيّب ولبّد رأسه[٣] ، وصلى ركعتين .

وكان رسول الله ﷺ قد ساق معه الهدي ، ثم ركب ناقته « القصواء» وأهلّ بالحج قائلًا : « لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك لبيك » وسار المسلمون معه وهم يلبون ويكبرون الله تعالى ويهللون .

وصول النبي ﷺ مكة وطوافه بالبيت الحرام :

وصل النبي ﷺ مكة في يوم الأحد الرابع من ذي الحجة ، فطاف بالبيت وهو راكب ناقته ، يستلم الحجر الأسود بمحجن في يده ، لأجل أن يراه الناس فيقتدوا به ويسألوه ، وأمر النبي ﷺ المسلمين أن يضطبعوا ويرملوا[٤] في الأشواط الثلاثة الأولى ، ويمشوا على

---

(١) السيرة النبوية الصحيحة محاولة لتطبيق قواعد المحدثين في نقد روايات السيرة النبوية (٢/ ٥٤٩)
(٢) هو موضع على ستة أميال من المدينة وهو ميقات أهلها ، ويقال له الآن : أبيار علي
(٣) التلبيد : دهن الرأس بشيء لزج كصمغ مثلاً ، حتى لايتشعث ولا يتولد به هوام
(٤) والاضطباع هو أن يلف الرداء حول الجسد مع تغطية الكتف الأيسر وكشف الكتف الأيمن . . أي إدارة الرداء من تحت الابط الأيمن ، الرمل : هو الهرولة .

هيئتهم في الأربعة الباقية ، حتى إذا فرغ من طوافه أتى مقام إبراهيم عليه السلام وهو يتلو قول الله تعالى : ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾[1] فصلى وراءه ركعتين ، ثم استلم الحجر مرة أخرى .

إلى الصفا والمروة :

خرج النبي ﷺ من باب بني مخزوم إلى الصفا وهو يقرأ قول الله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلۡمَرۡوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾[2] وقال : « أبدأ بما بدأ الله به » فبدأ بالصفا ، فرقي عليه ، حتى رأى البيت فاستقبل القبلة ، فوحّد الله وكبره ، وقال : « لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، لا إله إلا الله وحده ، أنجز وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده»[3] ثم نزل إلى المروة ، ثم رجع إلى الصفا وهكذا حتى أتم سبعة أشواط .

إلى الأبطح :

ثم سار رسول الله ﷺ والناس معه حتى نزلوا بالأبطح – مكان فسيح شرقي مكة – وأقام هناك إلى يوم الأربعاء يصلّي بأصحابه ، ولم يعد إلى الكعبة في تلك الأيام كلها .

الخروج إلى منى :

وفي يوم الخميس الثامن من ذي الحجة ، ويقال له « يوم التروية»[4] ، خرج النبي ﷺ وأصحابه إلى منى ، وساروا حتى جاؤوا منى ، فصلّى بهم النبي ﷺ الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر .

توجه النبي ﷺ إلى عرفات :

بعد شروق الشمس خرج النبي ﷺ قاصداً عرفات ، وأمر أن تضرب له قبة

---

(١) سورة البقرة :١٢٥

(٢) سورة البقرة :١٥٨

(٣) رواه مسلم/ باب : حجة النبي ﷺ

(٤) سمي يوم التروية بهذا الاسم لأن الحجاج يرتوون فيه من الماء لما بعده أي يستقوون ويسقون .

« بنمرة»[1] ، فسار النبي ﷺ ولا تشك قريش إلا أنه سيقف بالمشعر الحرام ، كما كانت قريش تصنع في الجاهلية ، ولكن النبي ﷺ أخلف ظنهم ، وسار حتى أتى عرفات ائتماراً بأمر الله في قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ ﴾[2] ، فوجد القبة قد ضربت ، فنزل بها حتى إذا زاغت الشمس ركب ناقته « القصواء » حتى أتى بطن الوادي « وادي عُرَنَة » ، وهنالك خطب خطبته المشهورة الجامعة .

خطبة يوم عرفة وبعض ما اشتملت عليه من مبادئ عظيمة :

اشتملت خطبة النبي ﷺ في عرفات على الكثير من المبادئ السامية الرفيعة ، نذكر منها بعض المقتطفات على سبيل الإيجاز :

١- بيان حرمة الدماء والأموال فقال ﷺ : « أيها الناس : إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا ، في شهركم هذا ، في بلدكم هذا ، ألا هل بلّغت ، اللهم فاشهد ، فمن كانت عنده أمانة ، فليؤدها إلى من ائتمنه عليها» .

الوقوف بعرفة

(١) نمرة : بفتح النون وكسر الميم : موضع بجانب عرفات وليس من عرفات
(٢) سورة البقرة :١٩٩

٢ـ إهدار ما كان في الجاهلية من دماء وقتلٍ وتعاملات ربوية فقال ﷺ : « ألا إن كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدميّ موضوع[١] ، وربا الجاهلية موضوع ، وإن أول ربا أبدأ به ربا عمي العباس بن عبد المطلب ، وإنّ دماء الجاهلية موضوعة ، وأول دم أبدأ به دم ابن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ، وإنّ مآثر الجاهلية موضوعة غير السدانة والسقاية»[٢] .

٣ـ التحذير من الشيطان وكيده فقال ﷺ : «إن الشيطان قد يئس أن يُعبد في أرضكم هذه ، ولكنه قد رضي أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحقرون من أعمالكم » .

٤ـ الوصية بالنساء خيرًا فقال ﷺ : « واستوصوا بالنساء خيرًا فإنهن عوان[٣] عندكم لا يملكن لأنفسهن شيئًا ، وإنكم إنما أخذتموهن بأمانة الله ، واستحللتم فروجهن بكلمة الله ، فاتقوا الله في النساء ، واستوصوا بهن خيرًا ، ألا هل بلّغت ؟ اللهم اشهد» .

٥ـ التأكيد على أخوة المسلمين وترابطهم فقال ﷺ : أيها الناس : إنما المؤمنون إخوة ، ولا يحل لامرىء مال أخيه إلا عن طيب نفس منه ، ألا هل بلّغت ؟ اللهم اشهد ، فلا ترجعنّ بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض ، فإني قد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدًا : كتاب الله ، وسنة نبيه .

٦ـ التأكيد على أن أساس التفاضل بين الناس تقوى الله والعمل الصالح وليس الحسب والنسب فقال ﷺ :

أيها الناس : إن ربكم واحد وإن أباكم واحد كلكم لآدم ، وآدم من تراب ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، ليس لعربي فضل على عجمي إلا بالتقوى ، ألا هل بلّغت ؟ اللهم اشهد .

وأنتم تسألون عني فما أنتم قائلون ؟ قالوا : نشهد أنك قد بلّغت وأدّيت ونصحت ،

(١) أي باطل
(٢) السدانة : خدمة الكعبة ، والسقاية : سقاية الحج
(٣) جمع عانية وهي الأسيرة أي كالأسيرات في ضعفهن

فقال بأصبعه السبّابة يرفعها إلى السماء ويقلبها على الناس : اللهم اشهد ، اللهم اشهد ، اللهم اشهد ، والسلام عليكم ورحمة الله[١] .

وأكثر من الدعاء لأمته في هذا اليوم العظيم يوم عرفة ، وكان يوم الجمعة .

وفي هذا اليوم العظيم نزل على النبي ﷺ قول الله تعالى : ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[٢] ولما نزلت هذه الآية بكى بعض الصحابة ومنهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكأنهم فهموا منها الإشارة إلى قرب أجل الرسول ﷺ ، ولما قيل لعمر بن الخطاب رضي الله عنه : ما يبكيك ؟ قال : إنه ليس بعد الكمال إلا النقصان[٣] .

التوجه إلى المزدلفة :

ثم ركب النبي ﷺ ناقته بعد الغروب ، وشد زمامها حتى لتكاد رأسها تمس مقدمة الرحل ، وأردف وراءه أسامة بن زيد رضي الله عنه وهو يشير إلى الناس قائلًا : « السكينة ، السكينة ، ليس البر بالإيضاع »[٤] حتى أتى إلى « المزدلفة »[٥] ، فصلّى بها المغرب والعشاء جامعاً بينهما جمع تأخير بأذان وإقامتين ولم يتنفل بينهما ، ثم اضطجع ﷺ حتى صلّى الفجر ، ثم ركب ناقته حتى أتى المشعر الحرام ، فاستقبل القبلة ، ودعا الله وأكثر من الدعاء وهلّل ، وكبّر ، وما زال واقفاً حتى أسفر الصبح جدّاً .

التوجه إلى منى :

ثم دفع رسول الله ﷺ إلى منى قبل أن تطلع الشمس ، مردفًا وراءه الفضل بن العباس رضي الله عنه ، حتى أتى وادي محسّر[٦] فأسرع بدابته ، ثم قصد إلى الجمرة الكبرى « جمرة العقبة » فرماها بسبع حصيات صغار يُكَبِّرُ عند كل حصاة منها ، حتى إذا فرغ من الرمي انصرف

(١) السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة (٢/ ٥٧٤)
(٢) سورة المائدة : ٣
(٣) السيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص ٤٢٧ وينظر الرحيق المختوم ج ١ ص ٤٢٢
(٤) الإيضاع : الإسراع
(٥) مكان معروف سميت بهذا الاسم لأن الناس يزدلفون أي يتقربون فيها إلى الله بالدعاء .
(٦) محسر : بضم الميم وفتح الحاء وكسر السين المشددة

إلى المنحر فنحر ثلاثًا وستين بدنة بيده ، ونحر علي بن أبي طالب ﷺ الباقي وهي تمام المئة ، ثم أمر أن يؤخذ من كل بدنة بضعة[1] ، فجعلت في قدر فَطُبِخَت ، فأكل من لحمها وشرب من مرقها ، ثم حلق ﷺ شعره والصحابة ﷺ مطيفون به ، ما يريدون أن تقع شعرة إلا في يد واحد منهم ، وبذلك أحلّ ﷺ ولبس ثيابه وتطيب قبل أن يطوف بالبيت ، والمسلمون جميعاً يقتدون به في كل ما يصنع من المناسك .

التوجه إلى الكعبة :

ثم ركب ﷺ حتى جاء البيت ليطوف طواف الإفاضة ، وهو ركن من أركان الحج بالإجماع ، فطاف وصلّى بمكة الظهر ، ثم أتى زمزم فشرب ، ثم أتى السقاية[2] التي يقوم بها العباس ﷺ فشرب حتى تضلّع ، ثم عاد رسول الله ﷺ إلى منى بعد الظهر .

خطبة يوم النحر

وفي يوم النحر خطب النبي ﷺ وهو واقف على ناقته خطبةً أخرى ، أكد فيها بعض ما ذكره في يوم عرفات من حقوق الإنسان في الإسلام ، والوصية بالأخوة والوحدة وحرمة الدماء والأموال والأعراض .

وكان بعض الصحابة ﷺ يسأل النبي ﷺ عن تقديم بعض المناسك على بعض ، وتأخير بعضها عن مكانه نسياناً وسهواً ، فما سألوه عن شيء من ذلك إلا وقال : « لا حرج ، لا حرج »[3] .

(١) بضعة بفتح الباء : أي قطعة .
(٢) كانوا ينقعون التمر والزبيب في الماء ويسقون الناس ، وهو من مآثر الجاهلية التي أقرها الإسلام .
(٣) رواه البخاري/ باب الذبائح قبل الحلق

مقام النبي ﷺ بمنى وخطبته أيام التشريق :

وأقام رسول الله ﷺ بمنى يوم النحر ، وأيام التشريق الثلاثة[١] ، يرمي الجمرات[٢] ، كل جمرة بسبع حصيات ، يكبّر على إثر كل حصاة ، ويقف بعد كل من الجمرتين الأوليين مستقبلاً القبلة ، ورافعاً يديه يدعو ويطيل الوقوف ، فإذا رمى الثالثة انصرف ولا يقف بعدها ، وأقام النبي ﷺ تلك المدة بمنى يصلّي بأصحابه ويقصر الرباعية ، وخطب ﷺ بمنى خطبة أخرى أوسط أيام التشريق وهو يوم النفر الأول ، وكانت بمثابة تأكيد لبعض ما جاء في خطبتي عرفة ، ويوم النحر .

وفي الحقيقة أن تكرار الخطب في حجة الوداع كان أمراً لابد منه ، فهي الحجة الوحيدة التي حجّها الرسول ﷺ ، فكانت بمثابة الوداع الأخير ، وكان لابد من التأكيد على هذه المبادئ التي ركّز عليها حتى يحفظها المسلمون .

إلى الأبطح بمكة :

وفي اليوم الثالث من أيام التشريق ، وكان يوم ثلاثاء ركب رسول الله ﷺ والمسلمون معه ، فنفر بهم من منى حتى نزل بالأبطح ، وصلّى بالمسلمين الأوقات فيه ، حتّى إذا استراح ﷺ من العناء أذّن في المسلمين بالرحيل ، فارتحل وطاف بالبيت طواف الوداع ، وصلّى بهم الصبح عند الكعبة ، ثم خرجوا من البلد الحرام « مكة » راجعين إلى البلد الطيب « المدينة » ، وهم يكبّرون ويهلّلون ويقولون : « آيبون ، تائبون ، عابدون ، ساجدون ، لربنا حامدون ، صدق الله وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده »[٣]

---

(١) هي الثلاثة التي تلي يوم النحر وسميت بذلك لأنهم كانوا يشققون فيه اللحم ويجففونه .
(٢) هي ثلاث : الجمرة الأولى التي تلي مسجد الخيف بمنى ، والجمرة الوسطى وجمرة
(٣) السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة/ محمد أبو شيبة جـ ٢ ص ٥٨٠

ما يستفاد من الدرس :

١ – حرص الصحابة ﷺ على صحبة النبي ﷺ في حجة الوداع .

٢ – توجه النبي ﷺ والصحابة ﷺ إلى مكة مهللين مكبرين الله تعالى فرحاً بنعمة الحج .

٣ – تعدد خطب النبي ﷺ في حجة الوداع للتأكيد على مبادئ الإسلام .

٤ – تأكيد النبي ﷺ في الحج على معاني : المساواة ، والأخوة ، والوحدة .

٥ – الوصية بالمرأة وحسن معاملاتها من المبادئ التي أكد النبي ﷺ عليها في الحج .

٦ – رجوع النبي ﷺ والصحابة ﷺ إلى المدينة المنورة بعد إتمام الحج حامدين الله تعالى .

التقويم

س١ : تمم العبارات الآتية بما يناسبها مما بين القوسين فيما يأتي :

(قرن المنازل – المبرور – ودَّع – الوصية – ذي الحليفة – نصح)

١ـ أحرم النبي ﷺ في حجة الوداع من .....

٢ـ بيَّن النبي ﷺ أن الحج .....ليس له جزاء إلا الجنة .

٣ـ أكَّد النبي ﷺ في حجة الوداع على .....بالنساء .

٤ـ سميت حجة الوداع بهذا الاسم لأن النبي ﷺ .....المسلمين فيها .

س٢ : علل ما يأتي :

١ـ إرسال النبي ﷺ أبا بكر الصديق رضي الله عنه للحج في السنة التاسعة للهجرة :

.....

٢ـ تسمية حجة الوداع بحجة البلاغ :

.....

٣ـ تكرار النبي ﷺ للخطب في حجة الوداع والإكثار منها :

.....

س٣ : صّوب ما تحته خط فيما يأتي :

١ـ خرج النبي ﷺ إلى الحج في العام الثامن للهجرة . [.....]

٢ـ ركب النبي ﷺ في حجته للوداع البراق . [.....]

س٤ : انسب العبارات الآتية إلى قائليها :

١ـ « وإن أول ربا أبدأ به ربا عمي العباس بن عبد المطلب » .

القائل : (.....)

٢ـ « إنه ليس بعد الكمال إلا النقص» .

القائل : (.....)

س٥ : أجب بكلمة (نعم) أو كلمة (لا) على كل مما يأتي :

١ـ العمرة إلى العمرة كفَّارةٌ لما بينهما . [.....]

٢ـ اليوم الثامن من ذي الحجة يقال له يوم السقاية . [.....]

٣ـ أوصى النبي ﷺ المؤمنين في حجة الوداع بالنساء خيرًا . [.....]

٤ـ نحر النبي ﷺ بيده بعد فراغه من رمي الجمرات ستين بدنة . [.....]

الدرس السادس عشر

مرض النبي ﷺ ووفاته

تمهيد

عاد رسول الله ﷺ من حجة الوداع مطمئن القلب ، منشرح الصدر ، أن بلّغ الرسالة ، وأدى الأمانة ، ولكنه في الوقت ذاته ما كان ﷺ لينسى ما صنع الروم بالمسلمين في مؤتة ، وما حدث من استشهاد القادة الأبطال : زيد بن حارثة ، وجعفر بن أبي طالب ، وعبد الله بن رواحة رضي الله عنهم ، وكذلك ما أراد الرومان فعله من غزو المدينة ، مما كان سبباً في غزوة تبوك ، ومن ثم فقد عزم رسول الله ﷺ على إرسال جيش للاقتصاص منهم ، فكان بعث أسامة بن زيد .

بعث أسامة بن زيد رضي الله عنه :

في آخر صفر من السنة الحادية عشرة من الهجرة ، ندب النبي ﷺ الناس لغزو الروم ، فانتدب لذلك ثلاثة آلاف من خيار المسلمين فيهم كبار المهاجرين والأنصار ، ودعا النبي ﷺ أسامة بن زيد رضي الله عنه ، وجعله أميراً على الجيش ، وكان أسامة رضي الله عنه شاباً لم يبلغ العشرين من عمره[1] .

وعقد له النبي ﷺ اللواء بيده ، وخرج أسامة رضي الله عنه وعسكر « بالجرف » خارج المدينة استعداداً للمسير ، فلما بلغه اشتداد المرض بالنبي ﷺ توقّف عن المسير بالجيش .

وقد كان تأمير أسامة رضي الله عنه لحكم عظيمة من الرسول ﷺ منها :

١- تهيئة الفرص للشباب الصالح .

٢- إثارة عزائمهم وهممهم إلى معالي الأمور .

٣- تعويدهم على القيام بالمهام العظيمة .

---

(١) رواه البخاري :باب بعث النبي ﷺ أسامة رضي الله عنه ٢/ ٦١٢

ابتداء مرض النبي ﷺ وظهور طلائع التوديع :

اكتملت شعائر الإسلام ، وسيطرت تعاليمه على جوانب الجزيرة العربية ، وتحقق قوله تعالى : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾[1] ومن ثمَّ فقد أخذت علامات الوداع تظهر عليه ﷺ ، وتنضح بها عباراته وأفعاله ، مما يدل على إحساسه بقرب أجله ﷺ ، والتي كان منها :

١ـ اعتكف في رمضان من السنة العاشرة عشرين يوماً ، بينما كان لا يعتكف إلا عشرة أيام فحسب .

٢ـ تدارس القرآن مع جبريل مرتين في رمضان ، وكان قبل ذلك يتدارسه مرة واحدة .

٣ـ قال في حجة الوداع : « خذوا عني مناسككم ، فإني لا أدري لعلي لا أحج بعد حجتي هذه »[2]

٤ـ أنزلت عليه ﷺ في أوسط أيام التشريق سورة النصر ﴿ إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴾ ، فعرف أنه الوداع ، وأنه نُعيت إليه نفسه واقترب أجله .

٥ – في أوائل صفر سنة ١١ هـ خرج النبيّ ﷺ إلى جبل أحد ، فصلَّى على الشهداء كالمودع للأحياء والأموات[3] .

بداية المرض :

وفي اليوم التاسع والعشرين من شهر صفر سنة ١١ هـ وكان يوم الإثنين– شهد رسول الله ﷺ جنازة في البقيع ، فلما رجع – وهو في الطريق – أخذه صداع في رأسه ، واتقدت الحرارة عنده ﷺ .

---

(١) سورة المائدة :٣

(٢) رواه مسلم :١٢٩٧

(٣) صحيح البخاري ٢/ ٥٨٥

وقد صلى النبيّ ﷺ بالناس وهو مريض أحد عشر يوماً (١١ يوماً) ، وجميع أيام المرض كانت ١٣ أو ١٤ يوماً[١] ، وفي ذات يوم كان رسول الله ﷺ يطوف على نسائه ، كما هو شأنه في تعهدهنّ ورعايتهن ، فاشتدّ به المرض وهو في بيت السيدة ميمونة ، فدعا نساءه واستأذنهنّ أن يمرّض في بيت السيدة عائشة فَأَذِنّ له ، فخرج بين عمه العباس وابن عمه علي بن أبي طالب رضي الله عنهما تخط رجلاه الأرض ، حتى أتى بيتها ، وكان يعوده أهله وأزواجه ، وهو ببيت عائشة ، وفي ذات يوم زارته ابنته فاطمة فرحب بها وأجلسها بجانبه ، ثم أسر إليها شيئاً فبكت ، ثم سارّها ثانياً فضحكت ، فسألتها عائشة عن السر ، فأجابت بأنه سر ، ثم أخبرت فيما بعد أن النبي ﷺ أعلمها بقرب انتهاء أجله ، وأمرها بالتقوى والصبر فبكت . ثم أخبرها أنها أول أهله لحوقاً به ، وأنها سيدة نساء أهل الجنة فضحكت[٢] .

و كان رسول الله ﷺ يستشفي من ألم الحمى بالماء البارد ، كما كانت ترقيه السيدة عائشة بالمعوذتين ، وقل هو الله أحد .

صلاة أبي بكر رضي الله عنه بالناس :

ولما اشتد برسول الله ﷺ وجعه قال : « مروا أبا بكر فليصلّ بالناس» وبالفعل أخذ أبو بكر رضي الله عنه يصلي بالناس ، حتّى إذا كان قبل وفاة النبي ﷺ بأيام قليلة عزم ﷺ على الخروج إلى الناس كي يوصيهم ويخطبهم ، فقال : « أهريقوا عليّ من سبع قِرب لم تحلّ أوكِيَتهنّ[٣] ، لعلي أعهد للناس» فلما فعلوا ذلك ، وجد من نفسه خفة ، فخرج على الناس ، وهم يُصلّون الظهر وهو يهادى بين رجلين ، فلما رآه أبو بكر رضي الله عنه أراد أن يتأخر ، فأومأ إليه أن مكانك ، ثم جلس إلى جنب الصدّيق ، فجعل أبو بكر يصلّي بالناس قائماً ، والرسول يصلّي وهو قاعد[٤] .

(١) الرحيق المختوم (ص :٤٢٦)
(٢) صحيح البخاري : باب علامات النبوة- وباب مرض النبي ووفاته
(٣) الوكاء : مايربط به فم القربة
(٤) السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة (٢/ ٥٩١)

وكانت هذه آخر صلاة صلاها رسول الله ﷺ مع المسلمين ، ثم صعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم أوصى بالأنصار خيراً ، ثم قال : « أيها الناس : إن عبداً خيّره الله بين الدنيا وبين ما عند الله ، فاختار ما عند الله » ففهمها أبو بكر من دون الناس فبكى ، وقال : بل نحن نفديك بأنفسنا وأبنائنا وأموالنا ، فعجب الناس لبكائه ، فكان المخيّر هو رسول الله ﷺ ، وكان أبو بكر أعلمهم بذلك .

وصايا غالية للنبي ﷺ قبيل وفاته :

١- أمر بسد الأبواب المفتوحة في المسجد إلا باب أبي بكر رضي الله عنه وهذا يدل على منزلة أبي بكر رضي الله عنه عنده .

٢- نهى عن اتخاذ قبور الأنبياء والصالحين مساجد فقال : « وإن قومًا ممن قبلكم اتخذوا قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد ، فلا تتخذوا القبور مساجد ، فإني أنهاكم عن ذلك» .

٣- أمر بإنفاذ بعث أسامة فقال « أيها الناس أنفذوا بعث أسامة» .

٤- طلب العفو والمسامحة من المسلمين فقال « ألا فمن كنت جلدت له ظهراً فهذا ظهري فليستقد »[1] ثم اشتدت الحمى برسول الله ﷺ ، وكان يقول « إنا معاشر الأنبياء يضاعف لنا البلاء ، كما يضاعف لنا الأجر» . وفي هذه الشدة كان يقول : « اللهم أعنّي على سكرات الموت » وكان كلما أفاق من غشيته قال : « اللهم الرفيق الأعلى»[2] .

صحوة الموت :

وفي صبيحة الإثنين والصدّيق أبو بكر رضي الله عنه يصلّي بالناس الفجر كشف النبي ﷺ ستر الحجرة ، فنظر إليهم وهو قائم على حال حسنةٍ ، ثم تبسّم لما رأى من اجتماعهم على رجل

(١) فليستقد : فليقتص
(٢) رواه البخاري

واحد ، وألفتهم وتآخيهم ، فنكص أبو بكر ﷺ على عقبيه ظنّاً أن رسول الله ﷺ يريد أن يخرج للصلاة ، وهمّ المسلمون أن يفتتنوا في صلاتهم فرحاً برسول الله ﷺ ، فأشار إليهم بيده أن أتموا صلاتكم ، ثم دخل الحجرة ، وأرخى الستر فكان هذا آخر عهده بالمسلمين .

وفرح الصحابة غايةَ الفرح ، ظنّاً أن رسول الله ﷺ شُفِي من مرضه ، وما علموا أنها الصحوة التي تسبق الموت ، وانصرف بعضهم إلى عمله ، ودخل أبو بكر ﷺ على ابنته عائشة ﷺ وقال : « ما أرى رسول الله إلا قد أقلع عنه الوجع ، فركب فرسه وذهب إلى منزل له بالسّنح »[١]

في الرفيق الأعلى :

اشتدت سكرات الموت بالنبي ﷺ ، ودخل عليه أسامة بن زيد ﷺ وقد صمت فلا يقدر على الكلام ، فجعل يرفع يديه إلى السماء ثم يضعهما على أسامة ، فعرف أنه يدعو له ، وأخذت السيدة عائشة رسول الله ﷺ وأوسدته إلى صدرها بين سحرها ونحرها[٢] ، فدخل عبد الرحمن بن أبي بكر ﷺ وبيده سواك ، فجعل رسول الله ﷺ ينظر إليه ، فقالت عائشة ﷺ : آخذه لك ، فأشار برأسه أن نعم ، فأخذته من أخيها ثم مضغته ولينته وناولته إياه ، فاستاك به كأحسن ما يكون الاستياك ، وكل ذلك وهو لا ينفك عن قوله « في الرفيق الأعلى »[٣]

وكان آخر وصاياه ﷺ التي تكلم بها قبل وفاته « الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم »[٤] حتى جعل يغرغر بها صدره ، وما يفصح بها لسانه .

فلما اشتد الضحى ، فاضت أطهر روح في الدنيا من جسدها ، وصعدت إلى بارئها

---

(١) السنح بضم السين : مكان خارج المدينة كان للصديق مال فيه وبيت .

(٢) السحر : الرئة ، والنحر : الثغرة التي في أسفل العنق

(٣) الرفيق الأعلى : هم الذين ذكرهم الله في قوله : ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ٦٩ ﴾

(٤) روائع الإمام أحمد في مسنده تعليق شعيب الأرنؤوط : حديث صحيح لغيره .

راضية مرضية ، وخرج أكرم إنسان على الله في هذا الوجود من الدنيا كما جاء إليها ، ولم يترك مالاً ولا ديناراً ولا درهماً ، ولا ولداً إلا فاطمة رضي الله عنها ، وإنما ترك هداية وإيماناً ، وشريعةً عامةً خالدةً .

وكانت وفاته ﷺ يوم الإثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول عام أحد عشر من الهجرة وكان عمره المبارك آنذاك ثلاثاً وستين سنة وأربعة أيام[1] .

هول الفاجعة وأثرها على الصحابة رضي الله عنهم :

شاع الخبر في المدينة ، فإذا لهم ضجيج بالبكاء كضجيج الحجيج بالإحرام ، وأذهل النبأ سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه فصار يتوعد وينذر من يزعم أن النبي ﷺ مات ، ويقول : ما مات ولكنه ذهب إلى ربه كما ذهب موسى بن عمران ، فقد غاب عن قومه أربعين ليلةً ، ثم رجع إليهم ، والله ليرجعنّ رسول الله كما رجع موسى ، فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم زعموا أنه مات .

ثبات أبي بكر رضي الله عنه وقت الشدة وخطبته في الناس :

وأقبل أبو بكر الصديق من السّنح على فرس له لما بلغه الخبر ، فوجد عمر يكلم الناس ، وينذر ويتوعد ، فلم يلتفت إلى شيء حتى دخل على رسول الله ﷺ وهو مسجّى في البيت ببرد حبرة[2] ، فكشف عن وجهه ثم أكب عليه يقبله ، ويقول : « ما أطيبك حيّاً وميّتاً » ، وخرج أبو بكر وعمر يتكلم فقال : اجلس يا عمر ، وهو ماض في كلامه ، وفي ثورة غضبه ، فقام أبو بكر في الناس خطيباً فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه : « أما بعد فإن من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت ، ثم تلا هذه الآية :

﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن

(١) ينظر رحمة للعالمين/ محمد سليمان ج ١ ص ٢١٢
(٢) نوع من ثياب اليمن

﴿يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾[1]

قال عمر رضي الله عنه : فو الله ما إن سمعت أبا بكر تلاها فهويت إلى الأرض ، ما تَحْمِلُني قدماي ، وعلمت أن رسول الله ﷺ قد مات [2] ، وكذلك استفاق الناس من غشيتهم لما سمعوا أبا بكر رضي الله عنه يتلوها .

من أعمال الصحابة رضي الله عنهم بعد وفاة النبي ﷺ :

١ـ الاجتماع في سقيفة بني ساعدة وبيعة أبي بكر رضي الله عنه :

في هذه الغمرة من الأسى والحزن ، كاد أن يضطرب أمر المسلمين في مسألة الخلافة ، ويحدث خلاف بينهم ، فانطلق أبوبكر وعمر رضي الله عنهما إلى سقيفة بني ساعدة[3] حيث يجتمع الأنصار ، وبعد أن تكلم بعض أصحاب النبي ﷺ من الأنصار ، أراد أن يتكلم عمر وكان قد أعدّ كلاماً في نفسه ، ولكن الصدّيق منعه لما يعلم فيه من شِدّة قد لا تفيد في هذا الموقف ، ثم قال : « يا أيها الناس ، نحن المهاجرين أول الناس إسلاماً ، وأكرمهم أحساباً ، وأوسطهم داراً ، وأحسنهم وجوهاً ، وأكثرهم ولادةً في العرب ، وأمسهم رحماً برسول الله ، أسلمنا قبلكم ، وقدّمنا في القرآن عليكم ، فقال تبارك وتعالى :﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ﴾[4] وبعد أن انتهى من الكلام ، قام عمر فقال : ابسط يدك يا أبا بكر ، فبسط يده فبايعه ، وقال : يا معشر الأنصار ، ألستم تعلمون أن رسول الله ﷺ قد أمر أبا بكر أن يؤم الناس ، فأيكم تطيب نفسه أن يتقدم أبا بكر ، ثم قام المهاجرون فبايعوا ، ثم قام الأنصار فبايعوا ، وهكذا وقى الله المسلمين شر الفرقة ، وجمعهم على أفضلهم أبي بكر .

---

(١) سورة آل عمران :١٤٤

(٢) رواه البخاري- كتاب المغازي- باب مرض النبي ﷺ ووفاته .

(٣) مكان عليه ظلة .

(٤) سورة التوبة : ١٠٠

٢ـ البيعة العامة لأبي بكر رضي الله عنه بالخلافة :

وفي اليوم الثاني غدا الصديق ومعه عمر والصحابة رضي الله عنهم إلى المسجد النبوي ليبايع الناس المبايعة العامة ، وبعد أن تمت البيعة لأبي بكر رضي الله عنه خطب خطبةً تعتبر من آيات الحكمة وفصل الخطاب ، أوجز فيها أصول الحكم في الإسلام ، قال بعد أن حمد الله وأثنى عليه :

« أيها الناس : فإني قد وُلّيت عليكم ولست بخيركم ، فإن أحسنت فأعينوني ، وإن أسأت فقوّموني ؛ الصدق أمانة ، والكذب خيانة ، والضعيف فيكم قوي عندي حتى أريح عليه حقه إن شاء الله ، والقوي فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه إن شاء الله . لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم الله بالذل ، ولا تشيع الفاحشة في قوم إلا عمهم البلاء ، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله ، فإن عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم ، قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله » .

٣ـ تجهيز رسول الله ﷺ (تغسيله وتكفينه والصلاة عليه ودفنه)

أولاً : تغسيل النبي ﷺ : بعد هذه البيعة العامة انصرف المسلمون إلى تجهيز رسول الله ﷺ و تغسيله ، وكان الذي يتولى غسله علي بن أبي طالب يعاونه العباس وابناه الفضل وقثم رضي الله عنهم ، وكان من أقوال علي رضي الله عنه وهو يغسّل النبي ﷺ : بأبي وأمي ما أطيبك حيّاً وميّتاً !! وكان يغسل بالماء والسّدر[١][٢]

ثانياً : تكفين النبي ﷺ فلما فرغوا من تغسيله كفّنوه في ثلاثة أثواب بيض يمانية من قطن ، وبعد أن كفّنوه وضعوه على سريره في الحجرة .

ثالثاً : الصلاة على النبي ﷺ : ثم بدأ الناس يدخلون على النبي ﷺ أرسالاً يصلُّون فرادى ، لا يجتمعون على إمام ، فلما فرغ الرجال صلّى النساء ثم الصبيان .

---

(١) السدر : نبت طيب الرائحة يغسل به الميت كالصابون .

(٢) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد محمد بن يوسف الصالحي ج١٢ ص١٢٤ .

رابعاً : دفن النبي ﷺ : بعد أن فرغوا من الصلاة اختلفوا في أي مكان يدفن ؟ أيدفن في مسجده ، أم يدفن بالبقيع مع أصحابه ، أم يدفن في بيته ، وحسم الصدّيق رضي الله عنه الخلاف بما رواه عن النبي ﷺ أنه قال « ما مات نبي قط إلا ودفن حيث يقبض» فحفروا له عند فراشه»[1] ، فاستقرّ رأيهم على أن يدفن في حجرة السيدة عائشة رضي الله عنها حيث مات رسول الله ﷺ . وبين الأسى والحزن والدموع ، أهالوا التراب على القبر الشريف ، ثم رشّوا عليه الماء ، وكان ذلك في ليلة الأربعاء بعد يومين من وفاته ﷺ .

ما يستفاد من الدرس :

١ – حرص النبي ﷺ على تأمين حدود الدولة الإسلامية بإنفاذ بعث أسامة بن زيد رضي الله عنه .

٢ – إحساس النبي ﷺ بقرب أجله وظهور ذلك على أقواله وأفعاله .

٣ – اشتداد المرض بالنبي ﷺ وتمريضه في بيت السيدة عائشة رضي الله عنها .

٤ – أمر النبي ﷺ لأبي بكر رضي الله عنه أن يصلي بالناس بعد اشتداد مرضه ﷺ .

٥ – وفاة النبي ﷺ يوم الإثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول عام ١١ هـ .

٦ – اجتماع كلمة الصحابة على خلافة أبي بكر بعد وفاة النبي ﷺ .

(١) مسند إسحاق بن راهويه (٣/ ٧٣٩) .

التقويم

س١ : ضع الرقم المناسب من المجموعة (أ) أمام ما يناسبه من المجموعة (ب) في الجدول الآتي :

الرقم	المجموعة (أ)	الرقم	المجموعة (ب)
١	دُفِن النبي ﷺ ليلة :		بالماء البارد .
٢	اجتماع كلمة الصحابة رضي الله عنهم على خلافة		دار الندوة .
٣	اجتمع الصحابة بعد وفاة النبي ﷺ في :		أبي بكر رضي الله عنه بعد وفاة النبي ﷺ .
٤	كان النبي ﷺ يستشفي من ألم الحمى :		سقيفة بني ساعدة .
			الأربعاء بعد يومين من وفاته ﷺ .

س٢ : ضع علامة (√) مقابل العبارة الصحيحة وعلامة (X) مقابل العبارة غير الصحيحة فيما يأتي :

١ـ أنزلت على النبي ﷺ في أوسط أيام التشريق سورة العلق . ( )

٢ـ استقبل أبوبكر الصديق رضي الله عنه نبأ وفاة النبي ﷺ بالثبات والصبر . ( )

٣ـ استأذن النبي ﷺ زوجاته أن يمرَّض في بيت السيدة حفصة . ( )

٤ـ جعل النبي ﷺ أسامة بن زيد رضي الله عنه أميراً على الجيش رغم صغر سنه . ( )

س٣ : أجب عما يأتي :

١ـ اكتب اثنين من مظاهر إحساس النبي ﷺ بقرب أجله :

. . . . . .

. . . . . .

٢ـ سجِّل بقلمك آخر وصية أوصى بها النبي ﷺ أمته قبل وفاته :

. . . . . .

. . . . . .

س٤ : من الشخصية المقصودة فيما يأتي :

١- حسمَ الخلاف بدفن النبي ﷺ في حجرة عائشة استجابةً لما قاله النبي ﷺ .

(. . . . .)

٢- أخبرها النبي ﷺ بأنها سيدة نساء أهل الجنة فضحكت .

(. . . . .)

س٥ : انسب العبارات الآتية إلى قائليها :

١- « فإن أحسنت فأعينوني ، وإن أسأت فقوّموني» .

القائل : (. . . . .)

٢- « والله ليرجعنّ رسول الله كما رجع موسى » .

القائل : (. . . . .)

المراجع

١ـ القرآن الكريم

٢ـ صحيح الإمام البخاري

٣ـ صحيح الإمام مسلم

٤ـ سنن أبي داوود

٥ـ سنن الترمذي

٦ـ سنن النسائي

٧ـ سنن ابن ماجه

٨ـ البداية والنهاية للإمام ابن كثير

٩ـ السيرة النبوية لابن هشام

١٠ـ صحيح السيرة النبوية للحافظ ابن كثير

١١ـ الرحيق المختوم (صفي الدين المباركفوري)

١٢ـ هذا الحبيب محمد ﷺ يا محب (أبو بكر الجزائري)

١٣ـ صحيح السيرة النبوية (إبراهيم العلي)

١٤ـ السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث (د . علي الصلابي)

١٥ـ فقه السيرة (محمد الغزالي)

١٦ـ فتح الباري بشرح صحيح البخاري للإمام بن حجر العسقلاني
١٧ـ سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد محمد بن يوسف الصالحي
١٨ـ نور اليقين في سيرة سيد المرسلين محمد بن عفيفي الخضري
١٩ـ إمتاع الأسماع بما للنبي ﷺ من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع المقريزي
٢٠ـ الروض الأنف في شرح غريب السير عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي
٢١ـ السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة محمد أبو شُهبة
٢٢ـ السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون علي بن برهان الدين الحلبي
٢٣ـ سبل السلام من صحيح سيرة خير الأنام عليه الصلاة والسلام صالح بن طه عبد الواحد .
٢٤ـ خاتم النبيين ﷺ محمد أبو زهرة
٢٥ـ السيرة النبوية والدعوة في العهد المدني أحمد أحمد غلوش
٢٦ـ عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير في محمد بن محمد بن سيد الناس
٢٧ـ غزوات النبي ﷺ في السيد الجميلي .
٢٨ـ وامحمداه إن شانئك هو الأبتر في أبو التراب سيد بن حسين بن عبد الله العفاني .
٢٩ـ الرسول القائد محمود شيت خطاب .
٣٠ـ الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله ﷺ والثلاثة الخلفاء سليمان بن موسى الكلاعي .

أودع بمكتبة الوزارة تحت رقم (٦٠) بتاريخ ٩/ ١١/ ٢٠١٦م